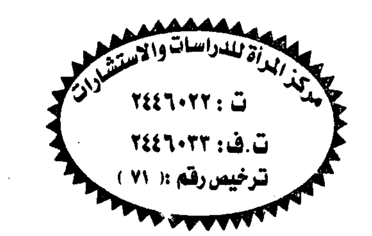

قضايا تهم المرأة ٣
الغيرة عند النساء
بقلم
خولة درويش
دار المجدي

قضايا تهم المرأة
٣



الغيرة عند النساء

بقلم
خولة درويش

ح دار المحمدي للنشر والتوزيع، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
درويش، خولة عبدالقادر
الغيرة عند النساء./ خولة عبدالقادر درويش ـ جدة ، ١٤٢٤هـ
... ص: ... سم
ردمك: ٥-٨٩-٧٥٢-٩٩٦٠

١ـ الغيرة ٢ـ المرأة في الإسلام أ ـ العنوان
ديوي ٢١٩.١ ١٤٢٤/١٤٧

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١٤٧
ردمك : ٥-٨٩-٧٥٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م

الناشر
دار المحمدي للنشر والتوزيع
حي الجامعة ـ شارع عبدالله السليمان
جدة ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٦٨٩٧٥٠٩ ـ فاكس : ٦٨٠٢٦٠٤
ص.ب ٩٣٤٧ ـ الرمز البريدي ٢١٤١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فالغيرة عند المرأة أمر فطري يتناسب مع شفافية نفسها ورقة طبعها، وشعورها بأنها هي المفضلة عند زوجها، ولن يشاركها فيه إلا من يعتدي ويسيء إلى أنوثتها ... أو هكذا يخيل إليها ...

كم يرثي الإنسان للزوجة الغيورة، إن كفكفت دموعها وعادت إلى بعض رشدها، فهي تقول لنفسها: «والله ما أعرف، وأنا غير متأكدة ... لكن ماذا أفعل ؟! وتضرب كفاً على كف!

الشك يقتلها، والغيرة تفتك بفؤادها، وهي في تبرم ونفور وسخط دائم، وضجر يحرمها التمتع بالحياة ... تنظر أنها الشقية التعيسة رغم كل ما في حياتها من رغد.

وهي أبداً كاسفة البال، مشغولة الفكر، تسترسل في رعونات النفس التي تكدر صفو حياتها، بل وحياة المقربين منها والمقربات ... كل ذلك بسبب ما تجره الغيرة على المرأة على حياتها.

ولما للغيرة من آثار على الأسرة والمجتمع، لذا أردت أن أولي هذا الموضوع اهتماماً قد يسلط الضوء على دوافع الغيرة عند النساء وليظهر حقيقتها وآثارها في حياة الأسرة.

ولعل رسالتي هذه تكون سلوى لمن تقلقها الغيرة!

وقد تكون علاجاً لمن تتوجس خيفة من كل من تخالطها ـ غيرة منها ..

وقد تجد بعض العلاج بدل أن تبقى في العناء الدائم والأرق المضني ...

وقد ذكرت في ثنايا البحث بعض الأمثلة الواقعية للغيرة عند النساء

ولا شك أن في جعبة كل قاريء أو قارئة المزيد من الوقائع، والعديد من العبر التي تظهر عوار الغيرة العمياء.

هذه الحوادث لن تدعنا نيأس، ونحن نسمع عن جحيم الغيرة وهو يهدد كثيراً من بيوتنا ويقلب رغد حياتها إلى نكد وشقاء.

ومن المعلوم أن الغيرة عند المرأة أمر فطري غريزي، إلا أن الإيمان بالله والتوكل عليه، والقناعة بالواقع الأسري عند التعدد، والرضى بتعاليم الشرع في حياتنا، كل ذلك يساهم في تجاوز الإفراط والتفريط لآثار الغيرة على حياة المرأة وأسرتها.

وفي نساء السلف الصالح خير نماذج للقدوة الصالحة، ولا يزال في مجتمعاتنا المسلمة نساء صالحات، ولايزال في رجالنا الأفاضل الخير والعدل في التعامل مع النساء.

وللغيرة أنواع: فهنالك الغيرة عند الرجل على الزوجة أو الأخت أو الابنة مثلاً ..

وهنالك الغيرة المحمودة على معالم الدين حتى لا تنتهك، ومنها الإيثار والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله وإعلاء كلمته عند النساء والرجال ...

وقد تحدثت عن هذه الموضوعات، فجاءت موزعة على المباحث التالية:

١ـ تعريف الغيرة وبيان أنواعها، فمنها المحمود ومنها المذموم وفيها الغيرة الطبيعية وغيرها.

٢ـ أسباب الغيرة: كضعف الإيمان، والأنانية وضيق الأفق، وتهويش الإعلام،وما شابه ذلك.

٣ـ مضار الغيرة وآثارها السلبية: كالقلق والحسد وتضخيم الذات، وتحطيم الأسر وفشل الأعمال النسائية.

٤ـ الصور القاتمة للغيرة: وفيها كثير من الصور الواقعية لآثار الغيرة، لعل فيها العبرة والموعظة.

٥- نماذج من غيرة النساء الصالحات: وهي على النقيض من المبحث السابق عسى أن يكون فيها القدوة الطيبة.

٦- كيف نقضي على جماح الغيرة: وفي هذا المبحث وَصَفات ناجحة - بإذن الله - للقضاء على الغيرة.

٧- الوقاية خير من العلاج: ويخص هذا المبحث أولياء الأمور، ودورهم في العلاج. مع البعد عن الإثارة، وإصلاح وسائل الإعلام والعمل على مايصلح القلوب ويشرح الصدور.

نسأل الله تعالى أن يجعل من بيوتنا قلاعاً حصينة تواكب تطلعاتنا، وتنهض بصحوتنا المباركة، و تعمر حضارتنا الزاهرة.

إنه سميع مجيب

تعريف الغيرة:

أصل معنى الغيرة: الحمية والأنفة.

يقال: غار الرجل على المرأة، وهي عليه غيْرةً. ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره، أو لانصرافها عنه إلى آخر، وثارت نفسها لمثل ذلك منه، فهو غيران وهي غيرى[1]

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

«الغيرة: مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين» .

هذا في حق الآدمي، وأما في حق الله تعالى فقال الخطابي: أحسن ما يفسر به، ما فسر به في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : «وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه» [2]

والغيرة اشتقت إما من تغير الغائر، وإما من مزاحمة الغير» ذكره ابن تيمية رحمه الله [3]

---

(١) المعجم الوسيط ـ مطبعة مصر /١٩٦١م/ مجمع اللغة العربية.

(٢) فتح الباري /٩/٢٣١/ للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني. نشر دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ط٢ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) ينظر الاستقامة ج ٢ ص ١١ ـ لابن تيمية ـ نشر مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.

(أ)

أنواع الغيرة

الغيرة نوعان: غيرة من الشيء، وغيرة على الشيء.

الغيرة من الشيء: هي كراهية مزاحمته ومشاركته لك في محبوبك.

والغيرة على الشيء: هي شدة حرصك على المحبوب أن يفوز به غيرك دونك، أو يشاركك في الفوز به.

وغيرة العبد لربه نوعان أيضاً: غيرة من نفسه وغيرة من غيره:

فالتي من نفسه: أن لا يجعل شيئاً من أعماله وأقواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه.

والتي من غيره: أن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون، ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون.

والإسلام كله حث على تأجيج هذه الغيرة، وإنكار المنكر. وبهذا أرسلت الرسل وأنزلت الكتب [1].

وليست الغيرة شراً كلها، فقد تصون الأعراض وتحمي الشرف والدين.

فقد روي عن جابر بن عتيك أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الغيرة ما يحب الله منها ما يبغض الله، وإن من الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة. وأما الغيرة التي يُبغض الله، فالغيرة في غير الريبة» [2].

وعليه، يمكن تقسيم الغيرة من حيث المدح والذم:

- الغيرة المذمومة: وذلك ما يكون سببه الظن من غير ريبة، وهذا أكثر ما يكون من الزوج على زوجته، وأحياناً الأخ على أخته، أو الأب على ابنته، وكذلك الزوجه على

---

(١) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله - ص ٢٧ه-٢٨ه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأبو داوود والنسائي وابن حبان. وقال الألباني: حديث حسن - ينظر صحيح الجامع الصغير ١-٤٤٢ - طبع المكتب الاسلامي - ط ٢ ١٤٠٦هـ بيروت - دمشق.

زوجها. مما يدمر كثيراً من البيوت الهشة بسبب الغيرة المقيتة التي تكون لهوى ودون دليل.

هذه الغيرة هي التي تكون سبباً في الظن الآثم في كثير من الحالات.

«حكي عن سفيان الثوري - رحمه الله - أنه قال: الظن ظنان: ظن آثم، وظن ليس بإثم. أما الذي هو إثم: فالذي يظن ظناً ويتكلم به. والذي ليس بإثم فالذي يظن ولا يتكلم» [(١)]

والمسلمة التقية تمسك لسانها أن يخوض في الحرام لئلا يوردها المهالك. ولا ترخي لغيرتها العنان استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [(٢)] .

وفي قصة ابني آدم وغيرتهما، نموذج للعدوان الآثم الذي سببته الغيرة. فلقد حفَّزت الغيرة على الشر، فباء القاتل بإثم من يَقتل إلى يوم الدين. هذا رغم أن ظاهر كليهما كان في موقف طاعة.

(فالغيرة المحبوبة هي ما وافقت غيرة الله تعالى. وهذه الغيرة هي أن تنتهك محارم الله، وهي أن تؤتى الفواحش الباطنة والظاهرة) [(٣)] .

(فأما الغيرة على مالم يحرمه أو على ما أباحه الله لعباده أن يفعلوه وهو لا يكرهه ولا يسخطه فهو مذموم كله.

فهذه الغيرة الاصطلاحية من مدحها مطلقاً فقد أخطأ ومن ذمها مطلقاً فقد أخطأ.

والصواب: **أن يحمد منها ما حمده الله ورسوله، ويذم منها ماذمه الله ورسوله)** [(٤)] .

- **ومن الغيرة المحمودة: الغيرة على الإسلام**: وهي غيرة بناءة تدفع إلى بذل الغالي والرخيص في سبيل الهدف النبيل، لجعل كلمة الله هي العليا.

---

(١) شرح السنة للبغوي ١٣/ ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ٢٠١ .

(٣) الاستقامة لابن تيمية - ج٢ ص ٧ .

(٤) الاستقامة لابن تيمية - ج٢ ص ٥-٦ - نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

وهي غيرة تعين للوصول إلى الغاية المنشودة بإذن الله، ولولا تلك الغيرة ما كان الجهاد بالنفس وبالمال. فغيرة المرأة على دينها تدفعُها لعمل ما عملته الصحابيات ـ رضوان الله عليهن ـ يوم غزوة تبوك، يوم تبارين في تقديم ما يملكن من مال ومن حلي لتجهيز جيش العسرة. رضي الله عنهن وأرضاهن.

ولولا تلك الغيرة على الدين، مادفعت المسلمة بأولادها الأربعة، مهجة قلبها وقرة عينها، لمجالدة الأعداء. ورضيت بقدرها وحمدت الله تعالى إذ شرفها بقتلهم جميعاً في سبيل الله. وسألته عز وجل أن يجمعها بهم في مستقر رحمته [١]

ومازالت النسوة الصالحات حتى عصرنا الحاضر نبراساً يحتذى في الغيرة على الدين والعرض.

فالغيرة على الدين والتحرق على الإسلام، يدفع المسلمة إلى التنازل عن كثير من رغباتها وشهواتها في سبيل الله عز وجل ونصرة دينه .

إن غيرة المرأة على الدين، تدفعها إلى الإنفاق السخي على فقراء المسلمين ومحتاجيهم. يؤلمها ما تسمعه من الإغراء الدنيء للأسر الفقيرة، يقوم به أعداء الدين وهم يقدمون الغذاء والدواء مع الإنجيل ليبعدوهم عن دينهم! فتأبى عواطفها الصادقة إلا أن تتحول إلى عمل نبيل يمليه واجبها كمسلمة.

*** ومن الغيرة على الإسلام والمسلمين:**

أن الصالحة إذا سمعت عن هضم حقوق المسلمين وتشريدهم من ديارهم وقتل أطفالهم لايهدأ لها بال، ولا يرقأ لها دمع حتى تسمع عن إنصافهم، وإعادة حقوقهم ... تساعدهم ولو بدعواتها المخلصة لأخواتها في ظهر الغيب، والله الرحيم لن يخيب رجاءها. وهذا أقل ما يجب عليها في حق إخوتها في الدين.

---

(١) إشارة إلى قصة الخنساء ـ رضي الله عنها ـ مع أولادها.

*** ومن الغيرة المحمودة: الغيرة على العرض أن ينتهك:**

وهي من أسمى ما يدعو إليه الإسلام، وأبرز مطالب هذا الدين وتنسجم مع طبيعة البشر السوي رجالاً ونساءً.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديّوث الذي يقر في أهله الخبث»[1]

وقد نشأت فتيات الإسلام على الغيرة على العرض لا سيما وأن (الغيرة هي السياج المعنوي لحماية الحجاب ودفع التبرج والسفور والاختلاط. فالغيرة هي ماركبه الله في العبد من قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر.

والحجاب باعث عظيم على تنمية الغيرة على المحارم أن تنتهك أو ينال منها. وباعث على توارث هذا الخلق الرفيع في الأسرة والذراري) [2]

ولقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال:

«بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج في السوق، أما تغارون؟! ألا إنه لاخير فيمن لا يغار»[3]

ولا خير فيمن لا تغار على دينها وعرضها.

فيما أختي المسلمة: إذا كان هناك تهجم على قيم الدين وعلى تعاليمه السامية، أو كانت هناك دعاوى لتمجيد القيم الهابطة، فالواجب الشرعي يحتم على المرأة والرجل ـ على السواء ـ الغيرة للذب عن الدين وعن مثله وتعاليمه.

وإن سمعت التقية حملة ضد الحجاب ... أو قرأت كتابات أهل الهوى والضلال، ينفثونها حول المحجبات... فمن الغيرة المحمودة أن تقرع الحجة بالحجة، وترد عليهم وتجاهدهم بقلمها ولسانها ... فتظهر زيف دعاويهم وتبين عوارها، فليس الستر عاراً، ولا التكشف

---

(١) رواه أحمد وقال الألباني حديث صحيح ـ ينظر صحيح الجامع الصغير ـ ١-٥٨٥ .

(٢) حراسة الفضيلة ـ ١٣١ ـ تأليف بكر أبو زيد ـ ط ١ ـ ١٤٢٢هـ ـ نشر دار العاصمة ـ الرياض.

(٣) شرح السنة للإمام البغوي ـ ٩/ ٢١٠ .

الفاضح تقدماً، ولا التهتك حضارة ورقياً !!

وهنيئاً لمن كان همها الإسلام وأهله، وغيرتها على تعاليمه أن تستباح ولدينها أن يمتهن.

هنيئاً لها الغيرة الفاعلة البناءة، الغيرة الصحية التي تدفع إلى التوجع من استشراء الفساد، وإلى مدافعة الباطل وأهله بالطرق الشرعية الممكنة...

«وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»

* * *

هذا وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ أنواعاً أخرى من الغيرة ومنها [1] :

ـ **غيرة الاستدراك:** وأول درجاتها غيرة العابد على ضائع أن يسترد ضياعه ويستدرك فواته، ويتدارك قواه.

كما إذا فاته الحج في عام تمكن منه فأضاعه في ذلك العام، استدركه في العام المقبل.

وكذلك إذا أخر الزكاة من وقت وجوبها استدركها بعد تأخيرها.

وأما الفائت فإنه يُستدرك بنظيره، كقضاء الواجب المؤقت إذا فات وقته أوبتوبة أو بندم.

وأما تدارك قواه: فهو أن يتدارك قوّته ببذلها في الطاعة قبل أن تتبدل بالضعف. فهو يغار عليها أن تذهب في غير طاعة الله.

ويتدارك قوى العمل الذي لحقه الفتور، بأن يكسوه قوة ونشاطاً غيرة له وعليه. فهذه غيرة العباد على الأعمال والله أعلم.

ـ ومنها **الغيرة على وقت فات:** فإن الوقت أبي الجانب عصّي الرجوع. فالوقت أعز شيء على العابد، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك ...

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ـ ٢٩ .

فالوقت منقضي بذاته، منصرم بنفسه. فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، وعظم فواته واشتدت حسراته» [١]

ألا ليت نسوتنا رزقن مثل هذه الغيرة، إذن لحفظت الأوقات، ولم تهدر الساعات، ولتضاعف الانتاج في المجتمعات.

- **الغيرة الطبيعية:** ليست الغيرة بمنتفية أو مستنكرة، لكن على أن تنضبط بضوابط الشرع.

قال سعد بن عبادة - رضي الله عنه - : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفَح. فقال النبي ﷺ : أتعجبون من غيرة سعد ؟! لأنا أغير منه، والله أغير مني» [٢]

والمعنى للحديث: أن الأشخاص الموصوفة بالغيرة، لا تبلغ غيرتها وإن تناهت غيرة الله تعالى » [٣]

ومن الغيرة الطبيعية التي قد لا يخلومنها بيت، ماكان يجري بين أمهات المومنين وهن أكرم نساء العالمين.

ففي بيت النبوة الكريم، كان لأمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - ، حوادث تبين وجود الغيرة بينهن، نذكر نماذج من تلك الحوادث:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا جمالها، فتلطفت حتى رأيتها .... فذكرت ذلك لحفصة - وكانتا يداً واحدة - فقالت: لا والله إن هذه إلا الغيرة، ما هي كما تقولين وإنها جميلة. فرأيتها بعد، فكانت كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى» [٤]

* ولعل أغرب مايذكر عن غيرة أم المؤمنين عائشة من خديجة بنت خويلد (رضوان الله

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ٥٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري، باب الغيرة / الحديث ٥٢٢٠ ، ومعنى مصفح: أي بحد السيف لا بعرضه.

(٣) شرح السنة، ٩/٢٦٧ .

(٤) سير أعلام النبلاء، ٢/٢٠٩ .

عليهن وعلى جميع أمهات المؤمنين) أن كانت تغار منها بعد موتها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد ـ أخت خديجة ـ على رسول الله ﷺ ، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد» . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : فغرت، فقالت وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين،هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها ؟!» [1] .

ويفهم من هذا الحديث أن الرسول ﷺ قد ارتاح لاستئذان هالة بنت خويلد: فهش لمجيئها وسُر بها لتذكره بها خديجة وأيامها. وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرام أهل ذلك الصاحب.

وقولها عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين: معناه: عجوز كبيرة جداً، حتى قد سقطت أسنانها من الكبر، ولم يبق لشدقيها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثاتها.

قال القاضي: قال المصري وغيره من العلماء : الغيرة مُسامحٌ للنساء فيها، لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك ولهذا لم تزجر عائشة عنها.

قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها، وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ» [2]

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً.

وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث لها. فقالت حفصة لعائشة ـ رضي الله عنهما ـ : ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر ؟! قالت : بلى.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٢) شرح صحيح مسلم . للإمام النووي ، ١٥/٢٠٢ .

فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة - رضي الله عنهما - فسلم ثم سار معها حتى نزلوا. فافقدته عائشة - رضي الله عنها - فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر تقول: يارب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني. رسولك ولا استطيع أن أقول له شيئاً.

قال النووي رحمه الله : هذا الذي فعلته وقالته حملها عليه فرط الغيرة على رسول الله ﷺ ، وقد سبق أن أمر الغيرة معفو عنه» [١]

*** هل الغيرة جبلية أم مكتسبة ؟**

إن الغيرة حالة انفعالية وعاطفية مكينة الجذور في النفس. وأكثر النسوة يرفضن الاعتراف بغيرتهن، ويقابلن اتهامهن بالغيرة بالثورة ونفي ذلك، وهذا التهرب دليل واضح على سوء الاتصاف بالغيرة، ولا سيما إذا اقترن الأمر باتهام الغير بشتى الاتهامات التي لا تليق.

ومما يؤكده علماء النفس أن كل الناس على حظٍ قل أو كثر من الغيرة.

(وأصل الغيرة غير مكتسب للنساء. لكن إذا أفرطت المرأة في ذلك بقدر زائد تلام).

وضابط ذلك ما ورد في حديث جابر رضي الله عنه ورفعه:«إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغضه الله. فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة. وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة.

وهذا التفصيل يتمحض في حق الرجال، لضرورة امتناع زوجين للمرأة بطريق الحل.

وأما المرأة فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم، إما بالزنا مثلا، وإما بنقص حقها وجوره عليها، وإيثار ضرتها عليها، فإذا تحققت من ذلك، أوظهرت القرائن فيه فهي مشروعة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، ١٥/ ٢١٠ والحديث أخرجه مسلم في فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ولو وقع ذلك بمجرد التوهم من غير دليل، فهي الغيرة في غير ريبة.

وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً وأدى لكل من الضرتين حقها، فالغيرة منهما إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء، فتعذر فيها. مالم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل. وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك » [١]

وعلى هذا فغيرة النساء بعضهن من بعض هي من أمور الطباع كالحزن على المصائب. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلوا غارت أمكم» [٢] لما كسرت القصعة. وقالت عائشة رضي الله عنها :«أولا يغار مثلي على مثلك» [٣] وقالت: «ماغرت على امرأة ما غرت على خديجة» [٤]] [٥]

وقد تحاول بعض النسوة أن يخفين مظاهر غيرتهن، ويتكلفن خلاف طباعهن. ولا بأس بذلك على أن لا يصل الأمر إلى الكبت. وهي مأجورة بتزكية نفسها وترويضها لتذهب غيرتها وتطفىء لهبها.

وحسناً ماذكره الإمام ابن تيمية رحمه الله ـ في تقسيم الناس من حيث غيرتهم فقال:

انقسم بنو آدم أربعة أقسام:

ـ قوم لا يغارون على حرمات الله بحال ولا على حُرمِها، مثلا الديوث والقواد وغير ذلك. ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق. ومنهم من يجعل ذلك سلوكاً وطريقاً. ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . . . ﴾ [٦]

ـ وقوم يغارون على ما حرمه الله على ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره، يجعلون ذلك غيرة. فيكره أحدهم من غيره أموراً يحبها الله ورسوله، ومنهم جعل ذلك طريقاً

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر، ٢٣٧/٩ .

(٢) البخاري كتاب النكاح ـ باب الغيرة .

(٣) ينظر الحديث بتمامه في مسلم، ٢١٦٨/٤ .

(٤) البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن .

(٥) الاستقامة، ج٢ ص ٨ لابن تيمية.

(٦) سورة الاعراف ، الآية ٢٨ .

وديناً ،ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبعض ما أحبه الله ورسوله غيرة.

- وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ماحرمه، فتراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات كما قال تعالى فيهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [1]

- وقوم يغارون مما كرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان [2].



(١) سورة مريم ، الآية ٥٩ .

(٢) الاستقامة لابن تيمية، ج٢ ص ١٠ نشر مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

«٢»

أسباب الغيرة

للغيرة غير المحمودة أسباب تدفع صاحبتها إليها. ومن أبرز هذه الأسباب: ضعف الإيمان والأنانية، وحب الذات مع ضيق الأفق وفقدان الثقة بين الأزواج. وتأتي وسائل الإعلام لتزيد الطين بله.

- **ضعف الإيمان:** حيث لا تتطلع المرأة إلى أكثر من هذه الدنيا، وتجعل البهارج الفانية أكبر همها، وتصبح شغلها الشاغل.

إن هذه وأمثالها لهي من أكثر النسوة شعوراً بنار الغيرة تحرق قلبها المأسور، لمحبة ما في الدنيا من متاع.

إن ضعف الإيمان يظهر في صورة عدم الرضى بالقدر، والرغبة في الاستئثار بالملذات بحيث تقتصر عليها وحدها.

نلمس ذلك من خلال كلمات الغيورة: فلانة لها خادم وأنا أخدم بنفسي!

وفلانة زوجها ثري وأنا في حالة الكفاف ... وفلانة تمتاز بمكانة كبيرة من قبل زوجها... أو أهله، أو مديرتها في ا لعمل...

فهذه وأمثالها مما يقدح في الإيمان «ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد» [1]

فعلام الحسرة؟ وحتام الأماني الباطلة؟ وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢] .

أما إن المرأة لو احتسبت كل عمل تعمله لما خسرت إيمانها لأجل أحد أيا كان. ولو وزنت تصرفاتها بميزان الشرع فلن تقع في حبائل الشيطان.

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد والنسائي والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال الألباني حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير ٢/١٢٦٢.

* فالأم التي ربت ابنها واحتسبت الأجر من الله تعالى وحده، لن يخالجها الشعور الذي يلم بالبعض: أنها تعبت في تربية ابنها وتحملت الكثير من أجله، حتى إذا كبر ابنها وزوّجته، جاء سواها يقطف الثمرة!

* والزوجة التقية التي تحتسب حسن تبعلها وقيامها بواجبها، لن ترضى إلا أن تكون معواناً لزوجها على البر بوالديه والإحسان إليهما، وتتغاضى عن كل ما يبدو أنه تقصير في حقها. فتردم هوة الخلاف بدل تعميقها. وتفوز بخير الدينا والآخرة.

إذ يزيدها حسن الخلق قربا من الله تعالى قبل كل شيء، وتزيد حظوتها عند زوجها أيضاً.

فإذا رسخ الإيمان في القلب فإن المؤمن يحب الله يعبده دون سواه إذ كيف يكون مؤمناً وفي القلب غير الله قد تمكن حبه فيه ؟!

وكيف يكون عبداً لله من لا همّ له إلا شهواته وهواه؟!

وكيف تكون المرأة مؤمنة وهي تنغمس في الأفكار المادية والنظرات السوداء القاتمة لكل من يحيط بها؟!

هلا كانت الحرقة على الدين وأهله؟!

فواحسرتاه على من تفرط بالباقية لأجل أمور تافهة، وخيالات يصور لها عقلها القاصر أن فيها الهناءة والسعادة!!

ـ عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها المساكين، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء»[1]

ومن تطلب الآخرة عليها أن تسعى لها، فتهون عليها تكاليف الدنيا، ولا تتمادى في الشهوات، وهي التي تعلم أن الدنيا دار عبور وممر لا دارمكوث ومستقر.

تحاسب نفسها قبل أن تحاسب، وتراقب الله في أعمالها بل وخطرات نفسها، وتتذكر الكرام الكاتبين الذين يعلمون ما تفعل...

---

(١) حديث متفق على صحته. ينظر شرح السنة ١٤/٢٦٥ ، للإمام البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي ، دمشق وبيروت، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ.

عندها لا شك سوف تزكي نفسها وتعمل الصالحات جهدها و «قد أفلح من زكاها»

ـ الأنانية وحب الذات:

ولعل هذا السبب في تسميتها الغيرة (من باب التسمية بالأضداد لأنها لاتحب الغير) هذه الأنانية تجعل المرأة الغيورة لا تطيق أن يمدح أحد إلا هي: تريد أن تمدح هي وحدها بشكلها، بصفاتها، وعملها ... وإلا فإنها تلهب نفوس من حولها، وتملأ بيتها بمشاكل لا نهاية لها. وبدايتها القدح بالأخريات ...

أو أنها كلما رأت شيئاً تشوقت نفسها إليه، وحاولت بشتى السبل الاستئثار به. وإن لم تحصل عليه تبدأ المشادات الكلامية مع من حولها لتعصف بالبيت وبمن فيه..

وهناك تجارب مريرة، نذكر بعضها:

* دعي زوج «هناء» إلى وليمة وكان فيها نوع من الطعام يأكله لأول مرة ، فأعجبه. فقال بعد عودته إلى المنزل مخاطباً زوجته ومجاملاً إياها، متحدثاً عن وليمة صاحبه وصديقتها سعاد، قال: يا «هناء» ليتك تسألين صديقتك عن طريقة إعداد ذلك الصنف من الطعام... وأحب الزوج أن يراعي مشاعرها فأتبع طلبه بمقولة كان يكررها كثيراً إذ قال لها:

ـ وأنت لا عدمت يديك، وأنت تطبخين أحسن الزاد ولا شك... ولكن زوجته المصون، سرعان ما تنكرت لصفائها، وفقدت عذوبة كلامها، وبدأت في إثارة المشاكل والحط من شأن سعاد! هذه الأنانية وحب الذات افسدت على «هناء» حسن علاقتها بصديقتها التي لاتدري عن الأمر شيئاً.

وكان بإمكانها أن تتعلم من سعاد فتكسب رضى زوجها، ولكنها الحماقة أعيت من يداويها!

ليكون الدرس القاسي تتعلمه، ولكن باللأسف بعد فوات الأوان.

ـ ضيق الأفق المسيطر وقصور التفكير:

وإلا فبماذا نفسر تصرف المرأة مع زوجها الذي كان بالأمس وكان وكان ... كان بالنسبة إليها أحب الناس حتى من أقرب المقربين ؟!

فإذا به يصبح البغيض الممقوت الذي تتمنى هلاكه. وتختلق من أنواع النكد فنوناً، مما يجعل حياتها جحيما لا يطاق.

أما إنها لو عقلت لتعلمت الحكمة النبوية:

«أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما . وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » [1]

إن عدم النضج لهو من أشد أسباب الغيرة بعد فقد الإيمان.

فالسخيفة تهون عليها نفسها، فلا تنهاها عن قبيح، لاسيما إذا مارس الرجل حقه الشرعي في الزواج بغيرها...

فإنها تعتبر اقترانه بغيرها إهانة بليغة لها، يجعل الدنيا تميد بها وتعاني هي ومن حولها من صنوف النكد ألواناً وأشجاناً.

وإن وجدت الغيورة مزايا لصديقاتها المقربات فإنها تغمطهن حقوقهن. وإن فقن عليها بأمر قد قصرت هي به تنكرت لهن، بل ونفت صحبتهن لها من أساسها بقول مكرور لدى أمثالها:

ـ هؤلاء لسن صديقات، إنهن أفاعٍ قاتلات!

فكلما رأت حسنة كتمتها وإذا رأت سيئة نشرتها. لا لسبب إلا لغيرتها المشؤومة.

ـ الثقة المفقودة بين الأزواج:

ولعلها من الأسباب الرئيسية لغيرة المرأة، مما يجعل الشك يسيطر على الزوجة لأوهى الأسباب.

---

(١) أخرجه البيهقي و الترمذي وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير ١/٩٧ .

ولن تغار المرأة من غيرها إلا وهي تشعر في قرارة نفسها أن الأخرى أفضل منها شكلاً او مالاً أو خلقاً أو مكانة أو سعادة زوجية أو نحو ذلك..

وإذا تعمقت الثقة بنفسها فلن تجد تلك المشاعر إلى نفسها سبيلاً.

* كان (م) قريباً لامرأة وكلما أراد أن يخطب فتاة يسألها الرأي، لكن أنى لهذه الغيورة أن تمدح امرأة أخرى حتى لو كان فيها من الصفات الحميدة والمزايا الحسنة ما يفوق صفات القريبة هذه... وذلك لئلا يصل شيء من تلك الصفات إلى مسمع زوجها!

فأين الأمانة والنصيحة الواجبة؟!

لقد ذهبت بها الغيرة .. وأودت بها الثقة المفقودة بين الزوجين!

* وبالمقابل: كانت مجموعة من النسوة يتجاذبن أطراف الحديث، وكعادة النساء كنَّ يتحادثن عن أزواجهن.

وكانت (ع) بينهن وهي معروفة بالثقة المتبادلة بينها وبين زوجها، والترابط الأسري الحميم.

قالت (ع) فيما قالته: والله لو دخلت غرفة ووجدت زوجي مع امرأة أخرى لما شككت أن هناك ريبة، ولما يتبادر إلى ذهني إلا أن المرأة المسكينة لديها مشكلة تريد أن يساعدها زوجي في حلها وبسرية كي لا يسمع أحد عن مشكلتها!

فاستغربت النسوة ذلك، وعنفْن صديقتهن (ع) على هذه الثقة المفرطة!

فالواجب أن يشعر الرجل زوجته بقيمتها، ويحترمها، ويقدرها ويمدح شكلها وهندامها... ومهما كلف الأمر لا يسخر منها ولا سيما أمام الأولاد.

ولا ننسى أن الإسلام دين الاعتدال، وأي أمر إذا بولغ فيه وزاد عن حده انقلب إلى ضده ـ كما يقال ـ ..

فيا أختي المؤمنة: جددي ثقتك بزوجك، ولا تتبعي الهفوات والتمسي له المعاذير. وأعلمي أنه كما قال الرسول ﷺ : «ما تواد اثنان في الله عز وجل ـ أوفي الإسلام ـ فيفرق

بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما »[١] .

ـ تهويش وسائل الإعلام:

فكم أدخلت من رزايا في أذهان الناس، وكم قلبت المعايير، وأثارت المفاهيم المغلوطة البعيدة عن هدي الشرع!

ومن ذلك مقولة: إن من تحب زوجها تغار عليه!

أو من وضع الغيرة في غير مواضعها الشرعية، وكذلك نزع الغيرة على المحارم والأعراض مما تؤكده الفضائيات المعاصرة في مسلسلات هابطة، وتضخيم لموضوعات التعدد، يبرزونها وكأنها الصواعق على المسلمات لما فيها من إهانات لهن ـ كما يزعمون ـ !

كما أنه قد أصبح للدياثة والإغراء مجلات متخصصة تدعو للولوغ في الشهوات وانتهاك المحرمات.

وبنفس الوقت تكرس الغيرة من الأمهات (أي الحموات) أو من الزوجة الثانية!

إن إشاعة الخيالات التي صنعها التلفزيون وأقامها مقام الحياة الواقعية سوف تخمد الحياة العاطفية بين الزوجين شيئاً فشيئاً. ويتجه الركب نحو الانقلاب بتأثير العواطف الهوجاء القادمة في خضم بحر لا قرار له.

ومن الآثار التي يلفح لهيبها الحياة الزوجية: الغيرة التي تنتاب الزوجين أو أحدهما، وغالباً ما يندفع طرف إلى المجابهة بإثارة الغيرة في نفس الطرف الآخر الذي آلم صاحبه أشد الألم. ويصبح لسان حال الواقع يقول: إن آثرت علي آثرت عليك، وإن اهتممت بغيري اهتممت بغيرك! بل إن الشيطان ليزين للزوجين طريق انتقام أحدهما من الآخر ويصور لهما أن ذلك هو الطريقة المثلى لإعادة الود وإثارة الانتباه.

ومايدريان أن الشيطان أقسم من قبل لأبويهما آدم وزوجته وزعم أنه لمن الناصحين![٢]

---

(١) خرجه البخاري في الأدب المفرد عن أنس رضي الله عنه ـ ينظر صحيح الجامع الصغير ٢/٩٨١ .

(٢) آثار الفديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، ص ٧٤، تأليف مروان كجك نشر مكتبة الكوثر ـ الرياض، ط١ ـ ١٤١٨ هـ .

فكم من امرأة أهاجتها المواقف في مختلف الفضائيات فأضحت بعد مشاهدتها كمرجل يغلي، تشكو القسوة، وتبكي الحرمان، وعلتها الأساسية الغيرة! ولقد زادتها البرامج اعتلالاً فوق علتها المسيطرة عليها.

وتقليداً لما تراه وما تسمعه من برامج، فإذا بها تحزم أمتعتها وبدون استئذان زوج تيمم وجهها شطر أهلها تبغي الراحة ...

لكن هيهات! لقد سبق السيف العذل!

* وحول موضوع أسباب الغيرة وآثارها على المرأة قامت مجلة مجالس النساء بعمل استبانة لمعرفة مدى الغيرة الموجودة بين النساء بقسميهن المتزوجات وغير المتزوجات. ولقد وزعت هذه الاستبانة في مدينة جدة.

فكان من الأسباب التي تودي إلى الشعور بالغيرة:

١ـ شدة المحبة ٤٩٪ .

٢ـ الخوف من فقدان الاهتمام والالتفات إلى الغير ٣١٪ .

٣ـ محاولة إثارة عواطف من تغار عليهم ١٠٪ .

٤ـ حب التملك ٩٪ .

وجاء في الجواب على السؤال التالي:

عندما تشعرين بأن هناك أشخاص يغارون عليك فكيف تتصرفين تجاههم:

٢٤٪ ـ تتجاهلين

٤٠٪ ـ تحاولين تصحيح مفاهيم

٣٦٪ ـ تشعرين بالسعادة

وعن سبب اختفاء الغيرة على الدين في بعض الأحيان كان الرد:

١ـ فقدان الجراءة ٤٥٪ .

٢ـ عدم المبالاة ٣٠٪ .

٣ـ لم نتربَ على ذلك ٥٢٪ .

** وفي استبانة المتزوجات:

إذا مدح زوجك امرأة وباتت تشتعل نار الغيرة في صدرك فما السبب؟

- لأنك ترغبين بأن تبقي المرأة المتكاملة في نظره ٣٨٪ .
- تخافين أن يفكر بالارتباط بها ٢١٪ .
- لا تدرين ماهو السبب ٢٢٪ .
- لم يجب أحد ١٩٪ .

وأما عندما تشعرين أن زوجك يغار عليك، كيف تكون ردة فعلك؟!

- تتجاهلين ١٣٪ .
- تحاولين التفاهم معه ٣٣٪ .
- تشعرين بالسعادة ٤٠٪.
- لم يجب أحد ١٤٪ . [1]



(١) الاستبانة من إعداد الأختين سمية يوسف عبدالواحد، وبشرى أحمد درويش، إشراف وإخراج الاستاذ عادل أحمد بارباح.

«٣»

مضار الغيرة

للغيرة مضار كثيرة ، وآثار سيئة تفتك بالمرأة قبل غيرها، وتجعلها نهباً للقلق والوساوس، وقد تحطم كيان أسرتها بعد أن تجعلها منبوذة عند من يخالطها!

ولو علمت المرأة الغيورة ما في الغيرة من مثالب،ومالها من أضرار، لأظلتها سحائب الندم، ولعصر فؤادها مغبة تصرفاتها الساذجة، بل والغبية غير المسؤولة والتي كانت ردود فعل للغيرة التي أوردتها المهالك!

ـ ومن ذلك أن المرأة ترتكب كثيراً من الحماقات بسبب الغيرة:

فالغيورة تبقى طفلة أبداً مهما كبرت، تتصرف كالأطفال بعيداً عن النضج في المجال الذي تغار منه أو تغارعليه.

فلا تتحمل مشاركة أحد فيما ترغبه، وقد تصب جام غضبها على من يشاركها .. تبكي لتحصل على رغباتها، وتشتم أوتنزوي إن لم تحصل عليها ... والاتهامات الباطلة في جعبتها تقنع بها زوجها الضعيف أو والدها المسكين وفحواها:

ـ أن الناس كلهم يخطئون معها !

كلهم لا يريد لها الخير، كلهم يغار منها!!

ومن سخافاتها أنها تعتبر الغيرة على زوجها تعبيراً عن مدى حبها له، وحرصها الشديد على سعادة اسرتها...

ولا تدري أنها تحمل معول الهدم لبيتها بما في ذلك زوجها وأولادها ...

* كانت (س) تجري سريعاً وقد خلفت أطفالها الصغار يبكون بمرارة... وهي تغوص في ماء الشاطيء ولا تني عن توبيخ وشتم تلك المرأة التي تقطع الشاطيء بلباس (فاضح) وحين عادت كانت مضطربة حانقة، سألتها صديقتها: أو تظنين أن هذه

الطريقة تصلحها؟! لقد أحسنت الظن بها إذن! لكن (س) ردت بانفعال: لا ، إن صلحت أو عساها لا تصلح، لكن كيف سيراها زوجي إذا حضر الآن؟!

هذا، رغم أن زوجها كان تقياً حيياً ذا دين ... ألا ليت غضبها كان لله. ثم ماذا لو غرقت وهي لاتحسن السباحة؟!

لكنه تصرف الغيورة الأهوج أبعدها عن كل تعقل واتزان.

* وكانت (ع) في ضنك من العيش وضيق ذات اليد، إضافة إلى ظروف البيئة القاسية التي جمعت من البعوض والصراصير والتي كان يضمها بيتها المتواضع - ولم تكن بيوت من حولها أحسن حالاً - ورغم قسوة الحياة كانت تعيش مع زوجها حياة مستقرة.

أحب زوجها أن يحسن وضعه، سافرا معاً حيث وفق زوجها إلى عمل محترم ... وتحسنت أحوالهما المعيشية.

أما ربة المنزل فإنها أضحت دائمة التذمر والسخط لأن فلانة لديها الخادمة التي تخدمها، ولكل أسرة في الحي سائق يلبي طلبات الأسرة ...!

وأسقط في يد زوجها المكافح المسكين، لقد كان يؤمل أن يقضي حياة وادعة هانئة...

لكن هيهات! **لقد احتملت (ع) لدغ البعوض وقسوة الحياة لكنها لم تقدر على احتمال الغيرة!**

لم تتحمل ازدهار حياة غيرها، رغم أن وضعها تحسن كثيراً عما كانت عليه. والحقيقة أن القناعة كنز لا يفني...

- الغيورة دائمة القلق كثيرة الحسد:

لأنها ترصد حركات من تغار عليهم: زوجها، أهلها، مديرتها...

وترقب بحذر من تغار منهم: صديقتها، أختها، أمها، أبنتها ..وتتعب جسمها وعقلها وأعصابها، فهي تعيش في نكد الدنيا الذي تصلى لظاه في آلام مُمِضّة وقلق مزعج.

وما العيادات النفسية إلا برهان واضح على صحة ما نقول. وما فيها من اكتئاب وقلق

دائم، وشقاء مضن؛ إلا نتاج ما يصطرع في أفئدتهن المريضة.

فالمرأة الغيورة مهما بلغت من المكانة أو المال أو الجمال، نجدها شقية تعيسة إذ ليس لها مثل مالفلانة من المال أو الجاه.

فضلاً عن أن أمثالها من أصحاب الغيرة الباطلة والحسد الممقوت نجدهم كما ذكر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ [1] هم من أقل الناس غيرة إذا انتهكت محارم الله. ويكون المؤمنون منهم في تعب والمشركون منهم في راحة، عندما نعت الله به المؤمنين حيث قال: ﴿ .. أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [2] وقال: ﴿ .. أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ .. ﴾ [3]

فيالتعاسة وضعها المزري في الدنيا قبل الآخرة: إذ تذوي نضارتها، ويخبو جمالها، ويشل نشاطها، وهي قبل غيرها تدفع الثمن من صحتها حين لا تنام إلا على الدواء المنوم! وقد قيل : أطول الناس غماً: الحسود.

ولله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقلته!

ـ تضخم مفهوم الذات:

حيث تبلغ الأنانية بالغيورة أن تنظر إلى غيرها نظرة ازدراء، وتدفن فضائلهن، بل وتنسب إلى نفسها الحسنات، غيرة منهن لأنهن يفضلنها بصفات معينة.

فالمرأة الفقيرة قد تغار من ذات المال، فتتدين لتتزين (كما يقال) وتتشبع بما لم تُعط. وقد فاتها أي وزر تحمله: فقد جاءت امرأة إلى رسول ﷺ وقالت: يارسول الله، إن لي جارة، فهل على جناح أن أتشبع بما لم يعطني! فقال ﷺ : إن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» [4]

(١) الاستقامة، لابن تيمية ٢٨/٢ .

(٢) سورة الفتح،الآية ٢٩ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٤ .

(٤) متفق على صحته، والجارة: الضرة. المتشبع: المتكثر باكثر مما عنده يتكلف به وهو الرجل يرى أنه شبعان وليس كذلك. كلابس ثوبي زرد: لمر ني يلبيس ثوب الزهاد. والمعنى المتشبع بمالم يعط بمنزلة الكاذب القائل لم يكن. ينظر شرح السنة ١٦١/٩ .

ومن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم: العائل المستكبر كما جاء في الحديث الصحيح [١]

وقد قال معاوية رضي الله عنه : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها » [٢]

ـ الغيورة منبوذة في المجتمع:

يمقتها حتى أهلها المقربون. لأنهم يعانون الأمَرّين من سوء غيرتها. ذلك أن خلقها قد يسوء من جراء الغيرة التي تلتهب بين ضلوعها، فتفقد صوابها وهي لاتني عن إحصاء ما عند الأخريات، وما تفقده هي.

ولا تفتأ تحبك الحيل الخبيثة مما ينغص حياتها التي لا ترى فيها إلا نفسها، ولا تنظر إلا إلى مصلحتها..

فأصبح الجميع يكره مجلسها، ويتهرب منها حتى أقرب الناس إليها. وأمضت بقية عمرها وحيدة منبوذة لا أحد يؤنس وحشتها!

وماذا استفادت؟ وهل النتائج أياً كانت توازي مافقدته من روابط حسنة؟!

لقد خابت وخاب مسعاها... وما وصلت إلى مبتغاها!

ـ الغيرة تحطم الأسرة وتبعثر كيانها:

إن بيوتاً كنا نعقد الأمل عليها قد حطمتها عواصف عمياء من غيرة النساء. وذلك حين تحمل الزوج ولاقى الكثير من خصام زوجته بسبب أمور ظنية، وهواجس ليس لها وجود في أرض الواقع...

لكن الغيرة التي أشعلت قلب الزوجة... كان رمادها طلاقها. لتصبح تائهة في مجتمع تذروها انتقاداته القاسية التي لاترحم!

ولا تستفيق إلا على أجراس الخطر لتنذرها بتدمير أسرتها وبعثرة أفرادها. وذلك حين

---

(١) الحديث بتمامه في صحيح الجامع الصغير ٥٨٨/١ .

(٢) عيون الأخبار ١٣/٢ .

ملَّ الزوج حياة بائسة تطالعة كل يوم بورطة جديدة، لا لشيء إلا لغيرة مبنية على أوهام... وبسبب المحاسبات الدائمة من زوجة لا تكف عن الثرثرة.

وقد صدق الشاعر إذا قال:

ما أحسن الغيرة في حينها	وأقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهماً عرسه	متبعاً فيها لقول الظنون
يوشك أن يغريها بالذي	يخاف أن يبرزها للعيون

وهذا يتعدى غيرة الرجل على زوجته لينطبق على كل غيور وغيورة يضع الغيرة في غير مجالها المناسب.

لذا قيل: الغيرة أم الشقاء .

وقد قيل أيضاً: لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى امرأتك بالسوء من أجلك.

ونحن نقول للمرأة: لا تكثري الغيرة على زوجك فترميه بالسوء من أجلك.

*كانت (دلال) تغار من أم زوجها. وكلما رأت زوجها وهو يريد زيارة أمه، كانت تصر على البحث فيما بداخل حقيبته، لتتأكد بنفسها ماعساه سيأخذ لأمه! وتمطره بوابل كلماتها اللاذعة كلما لمست أثراً للبر في هداياه...

ألا تباً لأمثال «دلال»! إنها تسيء إلى الدين والدنيا معاً، لأنها تريد أن يكون الارتباط بها وحدها وأن تقطع الأواصر بما سواها!

وهناك شواهد واقعية على تحطيم الغيرة للأسر، نذكر منها:

* قصة «جيجي» التي كانت تغار من عمة أبنائها، وأكثر ما كان يغيظها حين ترى أبناءها وهم يلتفون حول عمتهم تلاعبهم وتضاحكهم! وكانت تنهر الأولاد لمجرد ذكرهم أسم عمتهم. وأضحت قولتها المعروفة يرددها الأولاد «كأن ليس في الدنيا غير عمتكم!»

أوما درت السبب في حب صغارها لعمتهم؟! إنهم قد وجدوا عند عمتهم الحنان والحب والأمان...

كان يمكن للأم آن تسر من المودة القائمة بين أبنائها وعمتهم. لكنها الغيرة!

* إن مشاحنات الغيرة هي أكثر ما يحطم البيوت. ولن ينفض النزاع فيها إلا بكسر الضلع الأعوج (بالطلاق) .

فأعصاب المرأة المتوترة من فرط غيرتها، لن تدع للسلم نصيباً في أسرتها بل سوف تدعها تعيش في دنيا تعيسة تصنعها أحاسيسها الخاطئة... وتشعلها حرباً ضروساً على كل من تغار منهم أو تغار عليهم!

ولو كان حبها لزوجها صادقاً لأثبتت جدارتها بالمكانة التي تصبو إليها نفسها، وذلك بحسن أقوالها وجليل أفعالها، والتي بمجموعها تبني لها عند شريك حياتها بيتاً من الوقار والتقدير والاحترام. ولحصلت على الاستقرار الأسري المنشود.

* وماذا جنت «كوثر» بعد تلك الفسحة التي عادت منها للتو؟!

لقد دعى زوجها لفيفاً من الأصدقاء وعيالهم لفسحة ... وكان الكل مسروراً وسعيداً إلا كوثر فإنها كانت حانقة تتفجر غيظاً، من ترتيب «فلانة»، وحسن تعامل «علانة» مع أولادها وتخطيطها الواعي لأسرتها ... وبدل أن تعيد النظر في تصرفاتها هي، عادت إلى البيت وهي تصب اللوم على زوجها وتتهمه بالتقصير. وقد وصل بها الأمر أن بدأت تحطم الأثاث حنقاً وغضباً..ثم تسلقه بسليط كلامها ... وماذا كانت النتيجة وقد نفد صبر الزوج؟! وماذا جنت «كوثر» بعد ذلك؟!

كان درساً قاسياً لها لكنها وعته بعد فوات الآوان! بعد أن فارقت زوجها وأطفالها، لتعيش في حسرة وندم!

- أثر الغيرة على الأبناء والبنات:

إذ تؤثر فيهم فتصبح لهم اتجاهات سلبية تجاه الأقارب وتجاه الأم نفسها.

وذلك كله يجعل الأبناء غير متوافقين اجتماعياً، حين يجدون الأم تدخل في مشادات مع كل من يعارضها في وساوس الغيرة وهواجسها. وأكثر ما يلاحظ ذلك في الأسرة

الممتدة حينما تكثر الغيورة من التصرفات الخرقاء مع العمة والجدة والأناس المقربين... ففي غمرة الانقباض من الغيرة التي تأكل قلبها، لا بد وأن تظهر تصرفاتها لمن حولها، فيتشربها الأبناء (عن طريق القدوة والإيحاء) أنانية وحسداً وسوء تكيف.

* * *

هذا في نطاق الأسرة، وفيما يخص المرأة نفسها، أما في مجال المجتمع فنجد أن من مضار الغيرة:

فشل الأعمال النسائية:

إذ غالباً ما يكون بسبب الغيرة. سواءً أكان في المدارس أو المستوصفات النسائية أو المشاغل وغيرها... فإن الغيرة بين النساء قد تكون من أهم أسباب فشلها.

ذلك أن للغيورة حساسية مفرطة تجاه كل ما يمت لشخصها بصلة، ولو كانت تلك الصلة واهية. فلا تفتأ تبخس ذوات الفضل حقهن. وتسلب منهن كل محمدة. بل قد تفرط (ومتعمدة) في الإساءة إليهن، الأمر الذي ينعكس على كثير من الأعمال النسائية فتفشل. وذلك حين يتحول جهد النسوة إلى حيل للإيقاع بالناجحات، ومكائد تسيطر على سير الأعمال.

أو حين تحجم ذات الخبرة عن تدريب من هن دونها ليكون الظهور من نصيبها فحسب. أو حين تشغل نفسها بالسخافات والدس لإفشال الأعمال المنوطة بمن تغار منهن، ولإظهار عجزهن وتشويه سمعتهن...

أو أنها كلما رأت نابغة في ميدان ما فإنها تعمل المستحيل لتصيد أخطائها، وكالت لها التهم جزافاً. فلا تطيق مدحاً لزميلة، ولا إطراء لناجحة في عملها، بل هو السعي والكيد للحط من شأنها.

والحسرات تقطع قلبها، إن لمست مظاهر النعمة على غيرها !

* حدثتني (ط) والدموع تترقرق في مآقيها مما لاقته من زميلتها في العمل... إذ وصلت

بها مكائدها أن تفتح كل مظروف يأتي لها للمدرسة... ولقد أظهرت في تصرفاتها سخفاً كسخف الأطفال، وبذلت كل حيلة لاستلام مظاريف زميلتها! فلم كل هذا؟!

فيا للغيرة الشوهاء!! «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

* كانت السيدة (د) معلمة ناجحة محبوبة من طالباتها، ولها في قلوبهن مكانة فريدة كما أن لها صلة طيبة بالأهالي... والكل يثني عليها عاطر الثناء. مما أثار غيرة رئيساتها منها - من المديرة والمعلمات اللاتي سبقنها في العمل، بل ومن الموجهات أيضاً - فماذا كانت النتيجة؟!

لقد أصبحت الجهود منصبة لوضع العراقيل أمام نجاح هذه المعلمة، وتدبير المقالب لها. مما يضيع الوقت ويعطل الجهد ويفشل العمل.

- وفي الآخرة هنالك الحساب والجزاء:

إن الغيورة لتستغرق في الأحلام حين تريد أن تعبَّ من ملذات الدنيا وتفوز مع ذلك بنعيم الآخرة الخالد! والأماني هي رأس مال المفاليس كما يقال.

أم حسبت من تشتت قلبها، وأضحت أسيرة الأهواء - من دون الله وحده لا شريك له - أنها سوف تنال أمنيتها بالفوز برضوان الله: وقد قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] ألا ما أعجب من تبيع الخسيس بالنفيس، وتستبدل الهين المهان بعزيز غالي الأثمان!

ولو قدرت الغيورة الدنيا حق قدرها لكبحت جماح هواها ... وما قدر الدنيا إلا كما جاء في الحديث الشريف: عن المستورد بن شداد أحد بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ: أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟! قالوا: من هوانها ألقوها.

قال رسول الله ﷺ: فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها»[1]

---

(١) رواه الترمذي في الزهد وقال حديث حسن. ومسلم من رواية جابر بن عبدالله رضي الله عنه، ينظر شرح السنة ١٤/٢٢٨ .

فالدنيا فانية، ومتاعها زائل، ومافي الآخرة باق وفي ذلك تتسابق المؤمنات، قال تعالى : «فاستبقوا الخيرات».

ومن تنساق مع غيرتها فإنها تترصد الأخريات، وقد تتجسس لتعلم أخبارهن وفي ذلك الإثم والثبور كما جاء في الحديث الشريف: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك» [١] فالشيطان ينفث سمومه، ويلقى في روع المرأة أن حذار حذار راقبي غيرك جيداً ... وتنساق وراء وساوسه طائعة!

فيا لفرحة إبليس والمرأة تعامل زوجها الآثير بالأمس، معاملة غريم متهم هذا اليوم. وتصب عليه كل اللوم.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ماصنعت شيئاً! ويجيء أحدهم فيقول: ماتركته حتى فرقت بينه وبين أهله. فيدنيه منه ويقول: نعم أنت» [٢]

وقد تشتط المرأة في غيرتها فتتهم الأخريات في عرضهن بلا مبرر، والله تعالى يقول: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [٣] .

وما ينبغي أن نذكره جميعاً:

إن القلوب المشغولة بالدنيا هي التي تشتعل غيرة عند فقدان ما تصبو إليه وحيازة غيرهم له.

أما القلوب الحية فهي خاشعة بين يدي ربها، ودعاؤها الذي تلهج به ألسنة أصحابها: «اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»

* * *

(١) رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير ١٠٤٢/٢ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم وأحمد، ينظر صحيح الجامع الصغير ٣١٩/١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٨ .

«٤»

صور قاتمة للغيرة

في عالم المرأة نجد العجب العجاب من أنواع الغيرة العمياء التي تنكد العيش وتهدم الحياة الأسرية، وترمي بالمثل والقيم الخلقية عرض الحائط. طالما أن المرأة تنظر بمنظار مصالحها، وتتهرب من كل واجب عليها.

* فما أكثر ما تغار **المرأة من حماتها (أم زوجها)** ومن كل من يظهر له زوجها أي ودٍ ومحبة، وذلك رغبة في الاستئثار بالزوج. والذي أصبح في نظرها القاصر أنه من ممتلكاتها الشخصية ولا دخل لأحد فيه ...

أوما تذكرت أن حماتها هي أم زوجها الأثير لديها، ولا أم له غيرها؟!

أما الزوجة ففي الدنيا متسع لغيرها، وما أكثر النساء حين تعدها ؟!

أم أن للزوجة وحدها الأولوية، ومن ثم يهمل كل ما عداها؟ ولسان حالها يقول : انتهت مهمة الأم، فقد أدت رسالتها، وبدأ دور الزوجة وأولادها فقط !!

* وبالمقابل، **فقد تغار المرأة من زوجة الابن**، وتشعر في قرارة نفسها أن هذه الدخيلة قد خطفت منها ابنها وفازت بقلبه، بل وجيبه أيضاً ..!

وبلا مبرر، تكثر من الصدام معها، الأمر الذي ينعكس - بالتالي - على علاقتها مع ابنها. وقد فاتها أن واجبها كأم صالحة أن تعين ابنها على البر بها ورحم الله أماً أعانت ابنها على البر بها.

وبشرى لها بالولد الصالح يدعو لها ، ويكون امتداداً لها في هذه الحياة الدنيا، وامتداداً للصالحات لما بعد الممات..

* يا للسخافة كم تهدم من بيوت !

كانت (...) ضيقة الأفق، تشكو بمرارة من أن زوجها - رغم تدينه - يحب **اخته أكثر**

منها!

وما يزيد من غيظها هذا التعامل الطيب الذي يخص به الرجل أخته كلما زارتهم، فلا تتمالك زوجته إلا أن تحدق فيها بنظرات صارمة ثم تصب بلسانها السليط جام غضبها عليه.

وحين سئلت الزوجة : وما يزعجك في أن زوجك يحب أخته ؟! إن من يحسن إلى رحمه فيصلها، يكون من أكثر الناس وفاء إلى زوجته والإحسان إليها .....

لكنها ردت قائلة : لا ، إنه حب من نوع آخر !

استغفر الله حينما وصل بها الأمر إلى السير وراء نزغات الشيطان ووراء خيال فضفاض أوصلها إلى الإتهام بالعرض «ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم» سبحانك اللهم ما أرحمك ...

لقد كان يزعجها أن أخت زوجها تلبس الملابس الحسنة حين تعلم بقدومه. فماذا يضير الزوجة لو أحسنت اخته **اللقاء**، وبملابس غير التي تلبسها في مهنة البيت ؟!

لكنها الغيرة التي تعصف بالأسر وتهدم كيانها، وجنون الوساوس الذي ينبع من إيمان ضعيف، وتصرف بعيد عن خشية الله ...

* ومن غرائب غيرة النساء أن السيدة (س) قد حولت بيتها إلى معركة شديدة بسبب اتهام زوجها المتواصل، وكلما رأته يكلم **ابنة أخيه** أو يساعدها في فهم دروسها كانت تبدو في توتر دائم حتى قالت له وقد ملأ الغيظ فؤادها : أنت تحبها أكثر مني ..!

ولم يجد الزوج بداً وقد أطلت الفتنة برأسها، وصار يتعامل مع زوجة شرسة لم ينفع معها الإصلاح .... لم يجد بداً إلا أن يقتلع جذورها، ويفارقها إلى غير رجعة.

* والصور القاتمة بسبب الغيرة الطائشة كثيرة، وقد عمت البلوى.

فهذه السيدة (ع) **كانت تغار من أختها الصغرى**، فإن رأت منها تودداً إلى أبويها، وتخفض لهما جناح الذل من الرحمة. وإن وجدت من الوالدين استلطافاً لأعمال

الصغرى أو مدحاً لمساهماتها المنزلية أو نتائجها المدرسية، تأجج عندها انفعال الغيرة المقيت، وأجهشت في بكاء مرير، وتمنت لو كان بإمكانها الفتك بالجميع أو حتى بنفسها علها تشفي غليلها !

وعندما سبقتها أختها للزواج ... زاد ذلك من تذمرها وشكواها ... فيا لشبابها الضائع! وبدأت في كيل الاتهامات للشباب الأهوج (في رأيها) ... وكيف يتزوج الرجل من هي أقل تعليماً بل وجمالاً ؟!

أو مادرت أن أعمالها أهم من جمالها ومن شهادتها العلمية ؟!

لكنها الحماقة أعيت من يداويها.

* إن من تغار من ضرتها وحظوتها عند زوجها لأمر عادي إذا لم يصاحبه تصرف أخرق آثم .. أما أن تغار المرأة من جارتها، يبدأ ذلك بتقليدها، وينتهي بالحسد فذلك من عجائب الغيرة.

(.....) تغار من جارتها، وكلما اشترت ثوباً جديداً فإنها تريد لنفسها ذات اللون والقماش بل والخياطة أيضاً حتى ولو لم يناسبها ! وإن وجدت في بيت جارتها الجديد من الأثاث، فتشتعل الغيرة في قلبها، وتصر على اقتناء مثله، ولو أدى ذلك إلى استدانة الأب أو الزوج ومهما كلف ذلك من تضجر وتسخط، وحتى لو امتلأ البيت هماً وغماً، فإن مظاهر الثراء، والتقليد الأعمى حتى في السخافات وفي كل عبث قد ملكت عليها لُبَّها.

فماذا جلبت لها الغيرة إلا مقت من حولها، وضآلة شخصيتها، وطول همها، والانغماس في التفاهة والمنغصات ؟!

* ومن الغيرة فنون وجنون :

كانت تغار على صديقتها إذا صاحبت غيرها !

تغار إذا سارت مع غيرها أو ضاحكتهم أو حتى واصلتهم بالهاتف.

فكأنها تريد أن تجعل صداقتها حكراً عليها وحدها ....

وتعتبر أن كل تقرب من غيرها عزوف عنها .... وترغي وتزبد إن وجدت أن مكانتها المميزة قد خدشت !

فتهاجم بكلماتها اللاذعة كل فضيلة في صديقة الأمس !

فياله من سخف صبياني! وهلا تمعر وجهها لانتهاك محارم الله ؟!

* ذهبت (ف) لزيارة أهلها، وكعادتها ما إن استقر بها المقام حتى بدأت الوساوس تسيطر على نفسها ...

صارت بين الفينة والأخرى تتصل بالبيت لتطمئن أن زوجها ما زال موجوداً فيه ولم يخرج، وإلا فيا للعاصفة العاتية حين تسائله عن خروجه بعد عودتها !

ناهيك عن فتح رسائله، والتأويل الخاطيء لكل عبارة ولكل كلمة فيها ... فضلاً عن استماع المكالمات الهاتفية على ذلك الزوج المنكود ... وهذا ليس من الأدب في شيء !

فإذا كان الرجل الغائب عن أهله لا يصح له في آدب الإسلام الرفيع أن يطرق أهله ليلاً لئلا يتخونهم ...!

فكيف بالمرأة تتبع الشبهات، وتتصيد العثرات، حتى إذا بدأت تنزع القناع عما استتر من طويتها ... تهدَّم كيان بيتها الهش وانهار غير مأسوف عليه .

* وهذه المرأة قد **غارت من الكتب**، لكثرة ما رأت زوجها ينكب على المطالعة ويسرف في البحث ...

أشعلت النار لتحرق الكتب، فاحترق قلبها قبل أن تأتي النار على الكتب ...

وكان من زوجها فراقها ! وأطفئت النار من الكتب ... ونار الغيرة الملتهبة ما خلفت إلا الهجران وتشريد الأبناء ..

* الصور القاتمة لما تخلفه الغيرة كثيرة ، وأرجو المعذرة للإكثار من نماذجها، عسى أن تتنبه غافلة، وتعتبر سادرة في غيها ... والسيدة (س) كانت مديرة وتغار من إحدى معلمات المدرسة لأن شهادة المعلمة أعلى من شهادتها، ومكانتها عند الزميلات

والطالبات كانت أرفع ..

كانت المديرة تتعمد وضع جدول المعلمة المدرسي في أسوأ الظروف .. وتحملها من أعباء العمل فوق زميلاتها، وتحاول أن تحط من قدرها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ...

فهي تمدح جميع المعلمات اللاتي يشاركنها في النشاط، على اعتبار أنه نشاط نموذجي يجدر أن تحذو المعلمات حذوه .. وتهمل ذكر اسم المعلمة رئيسة النشاط (غيرة منها) وتمدح زميلاتها ...

ظناً منها أن ذلك التعامل الفج قد يطمس المواهب أو يقتلها ... لكن من تعمل لله تعالى لن يهمها مدح الآخرين أو حسن تعاملهم! وهكذا تنتقل الغيرة مع النسوة إلى مجالات العمل:

* كانت المدرسة (ع) قد بلغت عندها الغيرة مبلغاً عظيماً .. كانت تغار على طالباتها أن تذهب إحداهن إلى مدرسة غيرها فتسألها عن مسألة، فترغي وتزبد ومن ثم تنتقم من الطالبة ما استطاعت !

يا سبحان الله ! أوليست طالبتها طالبة علم، ومن حقها أن تسأل من تريد ؟!

أو ليس من حق الطالبة الاستزادة من المعرفة ؟!

فلم كل هذه الغيرة الشوهاء ؟!

* وفي المجالات الاجتماعية تكثر قصص الغيرة وتتنوع أشكالها :

فالسيدة (س) كلما سئلت عن مواصفات فتاة لخطبتها، فإنها تتلاعب بالحقائق، فالشكل الجميل فيه دمامة عندها، والخلق الوديع يصبح عندها شراسة ...

وإن أثنت عليها إحدى معارفها صبت عليها مر الكلمات، ووصفتها بأقبح الأوصاف، وهي التي كانت منبهرة بصفاتها ... فها هي الغيرة جعلتها تغمط في الفتاة كل صفة نبيلة، وتلصق بها كل نقيصة، لتظهرها بأبشع صورة !

وكل ذلك بسبب مرض الغيرة الدفين، الذي يجعلها تناوىء كل امرأة تخشى أن تكون

منافسها لها!

* **وأقبح الغيرة عندما تنسب نفسها للدعوة** : ومن ثم إذا مدحت أخت لها لحسن أسلوبها، أو تأثيرها العميق في المستمعات ... فإنها تجهد نفسها كي تبخس أخواتها حقهن، فتكتم خيرهن، وتضخم هفواتهن، وتنزعج لأخبار نجاحهن بدل أن تفرح .... فلماذا ياترى ؟!

ألا يفرحها أن تتعدد الداعيات إلى الله، وأن تكثر الناصرات لدينه، والمدافعات عن الإسلام ؟!

ومسكينة هذه الدعوة فكم تعاني من أمثال هؤلاء الدعيات ؟!

وكم تخسر الدعوة بسبب الغيرة التي تبعد المرأة عن الإنصاف وخشية الله ؟!

* وهناك امرأة كانت غيرتها بسبب نجاح غيرها في تربية الأولاد !

كانت كلما رأت أماً موفقة في مجال تربية الأولاد، ساءتها عبارات الثناء التي تسمعها عنها وعن أولادها.

وبلسانها السليط تبدأ تبخسها حقها : فقد تكيل لها التهم بأنها عديمة العلم بتدبير المنزل، لا تحسن الطبخ، لا تتقن اختيار الملابس ..

والأسوأ من ذلك عدم استفادتها من تجارب المرأة الناجحة .. لتكرر هي مع أولادها تجارب فاشلة! أما كان أحراها أن تتجاوزها. لكنها الغيرة التي أكلت قلبها، إذ بددت الوقت وأذهبت الجهد ...

* في موسم الحصاد، حيث يجني الفلاحون المحاصيل، وفي المجتمع الريفي المحدود، كانت حكايات الجميع ـ على الغالب ـ تدور حول الموسم.

أما (حمدة) فلا حكاية لها مطلقاً إلا الحديث عن موسم الآخرين. ولا يدور في خلدها إلا ماذا جنوا في ذلك العام، وماذا ربحوا ؟! وفحوى أحاديثها : أرأيت يا فلانة أن «عبده» رغم صغر أرضه فإنه أكثر الناس محصولاً !

و«فلان» يالحظ فلان لقد باع بسعر ما يعادل ضعف ما بعناه نحن ...

لقد سيطرت عليها فكرة المحاصيل ولا حقتها - ودون مبالغة - حتى في نومها. وأضحت «حمدة» ثقيلة الظل على كل من يخالطها، ومقت الجميع جلستها وصاروا يستعيذون من شر حضورها !

لقد ملّها كل من حولها حتى زوجها الذي استخف بأحاديثها وتطلعاتها!

* وهناك تجارب مرة نسمع عنها وسببها الغيرة التي تلتهب بين الضلوع وتتقد لتشعلها حرباً حتى بين الأصحاب .. ولا تترك أحداً، حتى من يتطبعن بطابع التدين ... لكنها السخافة والحمق !

ولا عجب أن تطالعنا الصحف والمجلات بالكثير من صور الغيرة المفرطة عند النساء :

- «**حتى لا يعود إلى الزوجة الأولى : أمينة تقتل زوجها بالشاكوش**» تحت ذلك العنوان كتب وائل حسين من القاهرة :

«تجردت كل مشاعر الرحمة والإنسانية، وسيطر عليها الحقد والغل ضد أقرب الناس إليها بسبب رغبة زوجها في إعادة زوجته الأولى إلى عصمته مرة أخرى.

لقد قررت الانتقام. وكان أبشع انتقام يتصوره عقل ... لقد هداها تفكيرها إلى درج المطبخ، حيث أحضرت شاكوشاً منه وانهالت على رأس زوجها وهو نائم، فضربته حتى فارق الحياة ثم أودعت السجن» (١) .

* وتحت عنوان «عداوة بعد محبة» نشرت اليمامة عن حادثة مروعة سببها الغيرة المفجعة عند المرأة وذلك عندما علمت بأن زوجها قرر أن يتزوج بزوجة ثانية ...

ما كان من الزوجة التي أكلت الغيرة قلبها إلا أن تلطفت للزوج حتى إذا ما شعر بالأنس معها، استأذنت وذهبت إلى المطبخ لتعود حاملة قدراً من الزيت المغلي لتسكبه على جسد زوجها!

---

(١) عكاظ الأسبوعية ، العدد ١٢١٦١ .

وبينما هو يصرخ ألماً، انخرطت هي في موجة هستيرية من الضحك الجنوني وهي تصيح : حرارة الزيت الحارقة لم تكن سوى نذر يسير من النار التي اشتعلت في داخلي عندما علمت بخبر زواجه من ثانية» ؟!» [1] .

أوما تذكرت الزوجة الغيورة قول الله تعالى ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** (٩٣) ﴾ [النساء: ٩٣] .

وباللغيرة المنكودة تفعل الأفاعيل في نفس صاحبتها، فعندما تعجز عن قتل زوجها، قد تحاول الانتحار لتقتل نفسها تخلصاً من الحياة! لا كرهاً للحياة وهي التي كانت مولعة بها، عندما كانت متيمة بزوجها الأثير لديها. أما حين شاركتها به زوجة أخرى ... فإنها غارت ومن ثم غارت في أوحال الآثام !

والإخفاق الذريع أودى بها في الدنيا والآخرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال :

«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطن نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» [2]

* * *

هذه الغيرة قد تعدت حوادثها المجالس والصحف والمجلات، **إذ سطرت كتب التاريخ** نماذج منها :

فماذا عندما تغار شجرة الدر؟!

كانت شجرة الدر «أم خليل التركية» من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان ولدها منه «خليل» من أحسن الناس صورة ومات صغيراً. وكانت تكون في خدمته لا

(١) اليمامة في عددها في ٢٢/٦/١٤٢٠ هـ.

(٢) متفق على صحته. ينظر صحيح الجامع الصغير ٢/١١٠٢ .

تفارقه حضراً ولا سفراً من شدة محبتها له. وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها «المعظم توران شاه» فكان يخطب لها وتضرب السكة بإسمها ...

ثم سيطر المماليك على البلاد ... وتملك المعز المملوكي للديار المصرية ثم تزوجها ولما بلغها أنه يريد أن يتزوج عليها بنت صاحب الموصل «بدر الدين لؤلؤ» غارت عليه ....

وأمرت جواريها أن يمسكنه لها، فما زالت تضربه بقباقيبها، والجواري يساعدنها على ذلك حتى مات! ولما سمع مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر «سيف الدين قطز» فقتلوها وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام، ثم نقلت إلى تربة لها لتدفن به.

ومن أخبارها: أنها لما علمت أنه قد أحيط بها وأنها مقتولة، أتلفت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة واللآليء المثمنة، كسرتها في الهاون، لا لها ولا لغيرها» [1]

* **من غرائب الغيرة : الغيرة حتى من نساء الجنة:**

كانت السيدة (د) رغم ما تكنه لزوجها من مودة واحترام، وتقدر فيه تدينه وكريم سجاياه ... لكنها تقول: عندما أتصور بأنه سيتزوج في الجنة من الحور العين، فإن لا أتمالك نفسي، فأسأل الله أن لا يدخله الجنة!

أوما كان الأجدر بها أن تدعو الله تعالى أن تدخل هي الجنة أيضاً حيث لا غيرة ولا حسد.

قال الله عز وجل ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [2] ثم لتطب المؤمنة نفساً : إن نساء الدنيا في الجنة أفضل من الحور العين. لكن الأمر كما قال الشاعر:

لا يبلغ الأعداء من جاهل   ما بلغ الجاهل من نفسه

وأخيراً : لا أريد أن أعكر صفو القارئة بأمثلة يندى لها الجبين وسببها الغيرة التي لم تكبح ولم تنضبط بضوابط الشرع.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ١٩٦-١٩٩ .

(٢) سورة الحجر الآية ٤٧ ..

وهنالك سؤال يلح على خاطري : ما الذي ستجنيه المرأة من غيرتها ؟!

ولماذا رضيت أن تكون الغيرة الرعناء نقطة التحول نحو الفشل في الحياة؟ لتأتي بأعمال يضحك من سخافتها الصبيان؟!

تتوجس شراً من كل من يطأ عتبة بيتها، وتثير النكد في المنزل، بل ولكل من يحيط بها في المجتمع ممن يعاني من دسائسها ومكائدها. فتصبح حياتها وحياة أسرتها، ومن حولها حياة بائسة. تغلفها كوابيس الشقاء والتعاسة.

* * *



(٥)
نماذج من غيرة الصالحات

في تاريخنا المجيد نماذج نيرة نرى أضواءها على صفحات التاريخ، جعلت مرضاة الله عز وجل همها الأول، والتأسي برسوله الكريم مثلها الأعلى.

لقد كان الإنصاف من أبرز صفات المسلمات التقيات، رغم الغيرة الطبيعية في نفوسهن، ولذلك كانت حياتهن تسير بهدوء ووقار، ترفرف على بيوتهن رايات التقوى والسعادة.

*** وفي بيت النبوة الكريم:**

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ . وما رأيت امرأة خيراً في الدين من زينب، أتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حدة كانت فيها تسرع منها الفيئة رضي الله عنها» أخرجه الإمام مسلم.

رضي الله عن أمهات المؤمنين، هذا رغم أن لزينب مكانة عند رسول الله ﷺ، تعرفها عائشة وتعبر عنها بقولها : تساميني : أي تضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة.

لكنها تقول عنها (وهي ضرتها) : بأنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الفيئة وهي الرجوع، فإذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه» [١]

وهكذا يكون الإنصاف، فلم يثن حب السيدة عائشة لزوجها المصطفى عن مدح زوجته زينب بل وبيان مكانتها عند رسول الله ﷺ قالت رضي الله عنها: يرحم الله زينب، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف.

---

(١) شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ١٥/٢٠٦ .

إن الله زوّجها ونطق به القرآن. وإن رسول الله قال لنا : أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً. فبشرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنة»[1] .

ولم يكن ذلك الثناء مختصاً بزينب رضي الله عنها، فلنسمع إلى مدح أم المؤمنين عائشة لميمونة رضي الله عنهما :

عن يزيد بن الأصم قال: تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة أنا وابن اختها ولد لطلحة، وقد كنا وقعنا في حائط بالمدينة فاصبنا منه. فبلغها ذلك فأقبلت على ابن اختها تلومه، ثم وعظتني موعظة بليغة ثم قالت:

أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة ورمي بحبلك على غاربك، **أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم ...)** [2]

ولقد عرف عن زوجات الرسول ـ أمهات المؤمنين ـ مواقف رائدة فهذه أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان تقول عنها عائشة رضي الله عنهما : دعتني أم حبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك.

فقلت: غفر الله لك ذلك كله، وحللك من ذلك.

فقالت : سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك» [3]

هذه القمم الشامخة ستبقى مناراً يهدي التائهين في ظلمات الحيرة والمطامع والتمسك بشهوات الحياة الفانية.

كما قالت عائشة رضي الله عنها تمدح ابنة زوجها السيدة الزهراء :

(مارأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها)

ولله در الإنصاف، كم يسعد حياة البشرية، لو طبقناه في علاقاتنا مع الناس!

* وهذا لا ينفي الغيرة عند الصالحات:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٢١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢٤٤

(٣) أخرجه ابن سعد ٨/١٠٠ والحاكم ٤/٢٢ ينظر سير أعلام النبلاء ٢/٢٢٣ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله إياها وثنائه عليها، وقد أوحى إلى رسول الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب» [1]

وسورة التحريم تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله ﷺ ، وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين ببعض نسائه بعض، وبينهن وبينه، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته ﷺ وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك [2]

عن آم المؤمنين ـ عائشة رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يمكث عند ام المؤمنين ـ زينب بنت جحش ـ ويشرب عندها عسلا. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل : إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير.

فدخل على إحدانا فقالت له ذلك، فقال: لا ، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له، فنزلت الآيات : يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ...... إلى أن تتوبا إلى الله) لعائشة وحفصة [3] .

تلك الحياة السامية التي كانت لا تخلو من نوازع بشرية نظيفة. لكنها تبقى حياة إنسانية لا ملائكية . فلم يخل الأمر من مقالب كان سببها فرط الغيرة، وبها من الطرافة ما يواسي الغيورة المعتدلة في غيرتها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دخل علي رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام، فلبسهما، فأخذتني غيرة شديدة، ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع (بقيع الغرقد) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ... فقلت : بآبي وأمي أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا» [4] .

---

(١) أخرجه البخاري، باب غيرة النساء ٥٢٢٩ .

(٢) الظلال، ٦/ ٣٦١٠ .

(٣) أخرجه البخاري، ٥٢٦٧، ينظر جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ٣/ ٢١٢ .

(٤) أخرجه البيهقي، ينظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٤٠٩ . ومعنى لم يستتم أي لم يتسكمل الراحة ولم يطلب تمام المكث عندنا

وهكذا المؤمنة الآوابة، تعرف خطأها وتعترف به «وقد أفلح من زكاها» كما قال تعالى.

* **أختي المسلمة** : إن كنت غيورة، فلست وحيدة في ذلك لأن الغيرة موجودة لدى النساء ولكنها كانت غيرة منضبطة بالشرع وأحكام الدين، خشية لله تعالى، وإنصاف مع الأخريات، وإقامة للعدل بعيداً عن سفاسف الأمور.

* ومن **صور الغيرة الطبيعية في بيت النبوة** : أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : يا عائشة إني ذاكر لك أمر فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. ثم قرأ علي الآية (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)[1] قالت عائشة : قد علم والله أن أبويَ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت فقلت : أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

وفي رواية، أن عائشة رضي الله عنها قالت : **لا تخبر نساءك أني اخترتك**! فقال لها النبي ﷺ : «إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني معنفاً»[2] ثم أن السيدة عائشة قالت : قال لي رسول الله ﷺ : إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى. فقالت: فقلت : من أين تعرف ذلك؟ فقال : أما إذا كنت راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد. وإذا كنت غضبى قلت: لا ، ورب إبراهيم !

قالت: قلت :أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك[3]

قال القاضي : مغاضبة عائشة للنبي ﷺ هي من الغيرة التي عفى عنها للنساء في كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها ....

ولولا ذلك لكان عليها في ذلك من الحرج ما فيه. لأن الغضب على النبي وهجره كبيرة عظيمة. ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسمك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتين ٢٨-٢٩ .

(٢) أخرجه الامام مسلم. ينظر جمع الفوائد ٣/٢١٥ .

(٣) رواه البخاري. باب غيرة النساء، رقم الحديث ٢٢٨ . ومرادها أنها كانت تترك التسمية اللفظية ولا يترك قلبها التعلق بذاته الكريمة مودة ومحبة ينظر الفتح ٩/٢٣٧ وأخرجه مسلم في فضائل أم المؤمنين عائشة .

فدل على أن قلبها وحبها كما كان. وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة.

فالكل يبحث عن السعادة الزوجية ....

لكن شتان بين من تعمر حياتها بحكمتها ومراقبتها لله تعالى، وبين من تهدمها بغيرة تؤدي إلى ارتكاب المحرمات.

شتان بين غيرة مقبولة تنمي الحب، وبين غيرة مرذولة تقتل الحب. والصالحة لا تجري وراء الظنون ولا تبخس غيرها حقوقهن.

ولقد نقلت أم المؤمنين عائشة صوراً من الحياة الأسرية في بيت النبوة عسى أن نقتدي بها.

لقد كانت غيرتهن تتعدى الاستئثار بالزوج إلى حب الخير والتنافس فيه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه. وإنه أمر بخبائه فضرب أراد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فأمرت زينب بخبائها فضرب، وأمر غيرها من أزواج النبي ﷺ بخبائه فضرب. فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر، نظر فإذا الأخبية، فقال: «آلبِرَّ يُردن؟!» فأمر بخبائه فقوض. وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال [1].

وسبب إنكاره عليه الصلاة والسلام، كما ذكر الإمام النووي رحمه الله: أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه، أو لغيرته عليهن.

فكره ملازمتهن للمسجد مع أنه يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون. وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيبتذلن بذلك، أو لأنه ﷺ رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد، فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه. وذهب المهم المقصود في الاعتكاف وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا [2].

* * *

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الاعتكاف. ومعنى قُوض: أزيل.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي ج ٨ ص ٧٠.

**** وفي تاريخ المسلمين صفحات مشرقة للنساء الصالحات التقيات** :

(ففي بغداد، كان رجل بزاز له ثروة ... وكانت زوجته ابنة عمه وله منها ولد. وقد عاهدها أن لا يغيرها .

وشاء الله أن يتزوج بأخرى، رضيت أن يجيء إليها في الأسبوع نوبتين ... وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها، وبقي على ذلك مدة ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله، وقالت لجارية ليها : إذا خرج فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة. فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم : لمن هذه الدار؟ فقالوا : لصبية قد تزوجت من رجل تاجر بزاز ...

فعادت إلى سيدتها، فأخبرتها. فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئاً.

فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض فمات وخلف ثمانية آلاف دينار. فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة، وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس. وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل قد مات وهذا حقها من التركة ...

ومضت الجارية، وطرقت الباب، ودخلت وأخبرتها خبر الرجل. فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك، وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة. وردي عليها هذا المال فإني ما أستحق من تركته شيئاً)[(١)]

ولا عجب إذا كانت مراقبة الله تعالى ديدن الجميع. وخشيته جل وعلا تملك قلوبهن. فالغيرة تلجم بلجام الشرع، شأنها كل الانفعالات الأخرى.

*** وفي عصرنا** :

كان (م) سائقاً كهلاً، لكنه كان دائماً مخضب اللحية، حسن الهندام. وزوجته (ل) تعمل

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٣٢٠-٣٢١ للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي - طبع دار الفكر، بيروت ط١ ، ١٩٩١م / ١٤١٢هـ.

فراشة في إحدى مدارس البنات.

وفي أحد الأيام، مازحتها الموظفات وسألنها: لماذا يا خالة تسمحين لزوجك بالحناء؟

فردت بكل طيبة : أنا كل أسبوع أخضب لحيته بيدي. لأن عنده زوجة شابة صغيرة، ثم أردفت قائلة : يالحلاوتها !!

استغربت الموظفات قولها، وتواردت الأسئلة: أحقاً لديه زوجة غيرك ؟ أتحبينها؟ كيف ترضين بالعيش معها؟

لقد تبين أن (الفراشة) تعيش مع ضرتها في بيت واحد .... وحيث أنها تعمل خارج المنزل، فإن الزوجة الأخرى تعمل داخله. حتى إذا عادت العاملة إلى بيتها، وجدت الأخرى قد جهزت الطعام والقهوة ... وعملت كل ما يرضي الزوج والضرة !

والكل سعيد، والأسرة جميعها تعيش بوئام ومحبة.

* وفي مجلس محترم ضم نساء مثقفات، دخلت (د) إلى ذلك المجلس، فسألتها امرأة من الحاضرات - لمزيد من التعارف - ألك طبينة - أي ضرة - ؟!

ولما أجابتها بالنفي دون شتم أو إبداء تأفف من الضرة، عاودت السؤال: أتحبين أن يكون لك طبينة؟ قالت : والله ماقدره الله نرضى به ثم أكدت بسؤال ثالث: ألا تغضبين منها؟

ردت عليها : وهل أنا أفضل من أمهات المؤمنين؟! ثم إن ديننا ليس دين نصارى.

عادت المرأة إلى بيتها، لتقول لزوجها الشيخ والذي عنده زوجتان غيرها : ياشيخ لقد وجدت امرأة تقول: إن ما يفعله الشيخ ليس بغلط .... فسر الشيخ أن وجد بعض النسوة لا ينسين تحكيم الشرع في هذه المواطن ويجعلن هواهن لما جاء به الشرع.

* **ومن القصص المعاصرة** : قصة أم خليل الكبرى وأم خليل الصغرى

هكذا كنا ننادي جارتينا ونحن صغار ....

ضرتان: الأولى لم يشأ الله أن تنجب، فتزوج رجلها الزوجة الثانية وسكنتا معاً في بيت

واحد. وكان بيتاً يزينه الوفاق والوئام.
كانت الكبرى تعمل في حياكة ملابس السيدات. والصغرى تعمل في مهنة المنزل ....
وعاش الجميع بهناء .... فالكل يتعاون ويكدح، ويرضى بما قسم الله له.
حتى إذا جاء المساء، يأبى (خليل) إلا أن ينام مع أمه الكبرى.
وكم كان يأتي ليختبىء في حضنها إن أردات والدته عقابه.
ومرت الأيام بمودة وتفاهم، **لم يعكر صفوها ضيق ذات اليد، ولا وجود الضرتين معاً في منزل واحد.**

* ومن ذلك تلك الفتاة التي كانت ذات خلق ودين، شابة مثقفة وعلى نصيب وافر من الجمال، وبعد فترة من زواجها وقد تحسنت أحوال الزوج .. . وعلمت زوجته أنه يريد الاقتران بزوجة ثانية، فسألته عن ذلك فصارحها ... ولما كان موعد الزفاف، عمدت زوجته التقية إلى ملابسه تعطرها وترتبها، وإلى شقة العروس تزينها وتهيؤها!
والأكثر من ذلك أن امرأة السيد (ع) رفضت الزواج منه إلا بعد موافقة زوجته الأولى ...
وحين علمت الزوجة الأولى بذلك، اتصلت بها وأخبرتها بالموافقة والترحيب بها ...
ويوم العرس، حيث أن إمكانيات الزوج المادية كانت محدودة، فإن الزوجة الأولى أعدت بنفسها طعام الوليمة. ثم رحبت بالعروس، ومشت لتدلها على غرفة النوم، والتي كانت غرفتها هي، حيث لم يكن بالإمكان آنذاك إنشاء غرفة خاصة بالعروس الجديدة.
وأمثال ذلك كثير .... والله أعلم، وكل ميسر لما خلق له.

* * *

(٦)
كيف نكبح جماح الغيرة

قال تعالى : ﴿ .. وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (١)

فالخير والشر فتنة، وملاذ الدنيا وهمومها إنما هي ابتلاء وتمحيص. بها يتميز من يجحد النعم ويكفر بها، ممن يشكرها ويؤدي حقها.

أما إذا حاد المجتمع عن تلك النظرة للأمور المادية والملذات الدنيوية، فإن الغيرة تنتشر فيه وتسوده الأنانية بكل ما فيها من مثالب.

والعلاج الناجع يكون بتعاون كل الأطراف المعنية. فإن أرادوا الإصلاح وقام كلٌ بدوره الواجب عليه في كبح جماح الغيرة، نكون قد بدأنا في العلاج الفعال...

يقوم به الرجل والمرأة على السواء، ويساهم فيه المجتمع وذلك بإصلاح الإعلام الذي يساهم في ترسيخ قيم المجتمع السامية، واهتمامات أفراده.

فما هو دور الرجل في كبح الغيرة ليجنب الأسرة عواقبها الوخيمة:

أولاً : يحسن استعمال القوامة : التي منحها الله إياها بقوله عز وجل : ﴿ ... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ .. ﴾ (٢)

فالرجل صاحب القوامة في البيت. وهو أقدر على اتخاذ القرار، وإرشاد الأسرة إلى مافيه صلاحها، ومنع الغواية، وتقويم المعوج، وإيقاف كل عند حده .... مع حسن المودة وطيب العشرة، ومراعاة المشاعر للأمهات والزوجات والأخوات ....

إنها رئاسة للأسرة، وليست قوامة استبداد وتسلط. وبالتعامل الحكيم يعين الرجل على ضبط النفس وتسكين الغضب وكبح جماح الغيرة :

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٢٨ .

* عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم.

ثم حبس الخادم حتى أُتي بصحفة من عند التي هو في بيتها. فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[1].

فهذا التصرف النبوي الكريم، فيه لنا أسوة عظيمة، إذ أن رسول الله ﷺ وجد المبرر لمن هو عندها بقوله : «غارت أمكم» وعوض على التي كسرت صحفتها، وانتهت المشكلة بهدوء ...

إنه التصرف السامي النبيل، والعدل الذي يرضي الجميع، ويوقف كلاً عند حدوده لا يتجاوزها.

* وفي حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة... وبما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول:

«إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»[2]

* وفي بيت النبوة أيضاً : بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة: إنك بنت يهودي.

فقال النبي ﷺ :إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك، ثم قال: «اتقي الله ياحفصة»[3]

---

(١) ينظر صحيح الإمام البخاري، باب الغيرة، رقم الحديث ٥٢٢٥ ، وقوله عليه الصلاة والسلام: أمكم: لكونها إحدى أمهات المؤمنين.

(٢) متفق عليه، ينظر شرح السنة للإمام البغوي ١٥٨/١٤ .

(٣) رواه الترمذي ٣٨٨٤ ، ينظر جمع الفوائد ٥٨٣/٣ .

وهكذا، فالزوج **يصحح المعلومة الخاطئة، ويهديء الخواطر بالكلمة الطيبة لا سيما مع الزوجة الصغيرة يداريها ويلاينها مراعاة لحالها، لكن بنفس الوقت لا يترك تعليمها وتوجيهها.**

- لما قدمت صفية من خيبر نزلت في بيت لحارثة بن النعمان، فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها.

وجاءت (أم المؤمنين) عائشة منتقبة، فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها فقال: كيف رأيت يا عائشة؟

قالت: رأيت يهودية!

فقال النبي ﷺ : لا تقولي ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها [1] .

فقد علّم الرسول ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها لما كان الأمر في بدايته .. وأما وقد عُلم أن السيدة صفية رضي الله عنها مسلمة، وأنها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أجمعين. فإنه عليه الصلاة والسلام بحزمه وبالعقاب المناسب، يضع الأمر في نصابه :

- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان في سفر، فاعتل بعير لصفية وفي إبل زينب بنت جحش رضي الله عنها فضل، فقال لها : «إن بعيراً لصفية قد اعتل، فلو أعطيتها بعيراً»

فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية !

فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرم - شهرين أو ثلاثة - لا يأتيها. قالت زينب: حتى يئست منه» [2]

وحسن استعمال القوامة يتجاوز أثره الطيب الزوجات ليشمل الأمهات. فإن كانت غيرة المرأة من أم الزوج. فلنعلم أن الأم ترضيها الكلمة الطيبة والتعامل الودود.

وعليه وحتى لا يحرم الابن من رضى الأم. وكذلك لا تحرم الأم من فلذة كبدها. فيجب

(١) الإصابة لابن حجر ٤/٣٣٨ .

(٢) الإصابة ٤/٣٣٨ .

العناية بهذا الجانب وعدم إهماله.

وكذلك التوازن في توزيع المهام الأسرية حسب ظروف السن، ولكل حقوقه:

قال علي رضي الله عنه لأمه : أكفي فاطمة (زوجته) الخدمة خارجاً، وتكفيك هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحن» [1] .

فللأم الاحترام والتكريم ومراعاة سنها، وبنفس الوقت عدم نسيان حقوق الزوجة والتعامل مع الجميع بحكمة ومودة. الأمر الذي يمنع الغيرة ويوصد أبوابها قدر الإمكان.

ثانياً : لا يعتسف في استعمال الحق الذي أعطاه الله أياه :

فالزوج الصالح سند وعون للزوجة الصالحة. يوصد أبواب المشاكل قبل وقوعها، ويمنع استفحالها لو وقعت.

- فلا يؤذي زوجته بذكر محاسن امرأة أخرى، فضلاً عن مقارنتها بزوجة أخيه، أو أخته مثلاً (في الشكل أو الهندام أو تدبير المنزل ونحو ذلك) عليه أن يساعدها ويأخذ بيدها لتعمل الخير مثل غيرها بدل تثبيطها.

- ولا يكثر من الحديث **عن تعدد الزوجات دون مبرر**:

أما ما نجده من بعض الأزواج في اعتبار ذلك من باب الدعابة التي يسعد بها الزوج، وهو يرى الغيرة قد أخذت من زوجه كل مأخذ، وردة الفعل الأليمة قد ألهبت كيان أسرتها عموماً لما وجدته من مرارة للدعابة الغليظة ...

فذلك تصرف سخيف لا مسؤول، لا تصرف زوج صالح يقدر قوامته الأسرية.

- كما أنه لا **يشعل الضغائن ويثيرها بالسخرية** اللاذعة حيناً، والنقد الجارح حيناً آخر، بل يزرع الثقة في نفس المرأة، مما يساعدها على دفع الغيرة.

لأن الثقة إذا عدمت جعلت المرأة نهباً للوساوس .. ولسان حالها يقول : ليت لي مكانة «كعلانة» ... وليتني أعامل «كفلانة» من النسوة.

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٢٥ .

والثقة المفقودة بين الأزواج من أهم أسباب الغيرة. فلا يصح إهمال هذا الجانب. فبناء الثقة أمر لازم لنجاح الحياة والسمو بها.

* لقد وصل أمر (س) في ممازحاته السخيفة، أنه كان يخبيء صوراً كلما دخلت زوجته. أو يتعمد وضع سماعة الهاتف! وذلك لامتحانها والتلذذ بغضبها بسبب الغيرة من المجهول الذي رسمه لها زوجها!

ومن ثم يدخل الجميع في مشادات كلامية تعصف بكيان الأسرة التي حولها الحمق والطيش وعدم تقدير المسؤولية إلى حلبة صراع، كلٌ يظهر عضلاته، ويفلت ما ساء من كلماته!

والزوج العاقل يؤدي حق الله عز وجل الواجب عليه، مع حسن العشرة والبعد عن الغلظة والجفاء.

ثالثاً : العدل :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ..﴾ (1) وقال جل شأنه :﴿ .. اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (2)

وقد لا يكون في كلامي أدنى التجاوز إذا قلت: إن جل الخلافات الزوجية لمن عنده أكثر من زوجة سببها الرجل. حين يؤجج نار الغيرة بسبب عدم عدله.

لذا فواجب الرجل أن يشعر كلاً من نسائه بمكانتها، وأنها لا زالت عضواً نافعاً ومهماً في الأسرة. مما يطيب خاطرها. كما أنه لا يميل لواحدة على حساب غيرها :

فقد جاء في الحديث الشريف «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل» (3)

فيجب العدل والإنصاف بين الزوجات اقتداء بالرسول ﷺ : عن عائشة رضي الله عنها

---

(1) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(2) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(3) أخرجه أبو داود والترمذي في النكاح وابن ماجه والدارمي وإسناده قوي وصححه ابن حبان. ينظر شرح السنة ٩/ ١٥٠ .

إنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها» [1]

قال الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ : لا يجب على الزوج قضاء مدة غيبته للباقيات وذلك لأن المسافرة وإن حظيت بصحبة الزوج، فقد تعبت بمشقة السفر. والتسوية بينها وبين من هي في راحة الإقامة والسكون عدول عن الإنصاف.

ولو خرج بواحدة من غير قرعة، فعليه القضاء للبواقي، وهو بهذا الفعل عاصٍ)

هذا العدل يتجاوز السفر، فيجب حتى في حالات المرض. وإن تمرض رجل في بيت إحدى زوجاته فذلك بعد إذن الأخريات تأسياً بالرسول ﷺ . وإلا أحست المرأة بالغبن المؤدي إلى المرارة وخيبة الأمل. وذلك يسلب نفسها طمأنينتها، ويسلب الأسرة سعادتها.

ونظرة إلى بيوت سلفنا الصالح، نجد مصداق ذلك العدل الرائع الشفاف.

ـ عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذ بن جبل رضي الله عنه امرأتان فإذا كان عند إحداهما **لم يشرب في بيت الأخرى الماء.**

وإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى. ثم توفيتا في السقم الذي أصابهم بالشام. والناس في شغل، فدفنتا في حفرة. فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر» [2]

ولا عجب أن نجد ذلك الورع من معاذ رضي الله عنه، فقد قال الصادق الأمين فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ» .

رحم الله معاذاً ورضي عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ .

فالمسلم لا يبخس أياً من الزوجات حقها، ولا يسرف في الميل القلبي. بل يلجم نفسه بلجام الشرع:

وقد قال الله تعالى : ﴿ .. فلا تميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ... ﴾ [3]

---

(١) متفق على صحته، ينظر شرح السنة ٩/١٥٣ .

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٢١٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٢٩ .

وقال جل شأنه : ﴿ .. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. ﴾ [(١)]

و «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» [(٢)]

فالتقي يصون حسناته عما يذهبها، ولا يرخي لنفسه العنان، بل يصبح هواه تبعاً لما جاء به الشرع، لينعم بجنة أكلها دائم وظلها.

رابعاً : ملاطفة الخلق لاسيما أهل بيته :

(وهي معاملتهم بما يجب أن يعاملوه ببه من اللطف. ولا يعاملهم بالعنف والغلظة، فإن ذلك ينفرهم عنه، ويغريهم به، ويفسد عليه قلبه وحاله مع الله ووقته، فليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف.

فإن معاملة الناس بذلك : إن كان أجنبياً فتكسب مودته ومحبته، وإن كان صاحباً وحبيباً فتستديم صحبته ومودته.

وإما عدو ومبغض فتطفىء بلطفك جمرته، وتستكفي شره.

ويكون احتمالك لمضض لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من الغلظة عليه والعنف به) [(٣)]

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «خيركم خيركم لأهله»

فليحسن الرجل معاملة أهله استجابة لتعاليم هذا الدين، وليحقق ما يستطيع من رغباتها المشروعة. فذلك مما يزيد الود وينفي الغيرة. مع ضرورة مؤانسة الزوجة وعدم إطالة البعد عن المنزل دون مبرر. وكذلك إجمام النفوس بالفسح المناسبة والمشروعة.

- **ينتقي الكلمات اللطيفة** والدعوات الصالحة التي تشعر المرأة بمكانتها. ويركز على المحاسن فيظهرها، ويشجع المزايا الخيرة فيها.

---

(١) سورة النساء، الآية ٣.

(٢) عن شداد بن أوس عن الرسول ﷺ. وقال البغوي: حديث حسن. ينظر شرح السنة ١٤/٣٠٨.

(٣) تهذيب مدارج السالكين [illegible]، نشر وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات المتحدة، المكتبة العلمية، كتبه ابن القيم وهذبه عبد المنعم صالح العزي.

- **عند خطأ المرأة** ، يعالج بطريقة لينة كريمة بعيداً عن الغلظة والجفاء. ولا يكون على نفسه وعلى من حوله بتتبع العثرات. بل يلتمس المعاذير ما أمكنه ذلك. مما يزرع الثقة في نفس المرأة. ورب كلمة طيبة تنفع في يوم الحشر، وتصون الأسرة من الضياع. والكلمة الطيبة صدقة.

- **يغض الرجل النظر عن المساويء المحتملة** والتي لا يترتب عليها قرب من الحرام. استجابة لحديث الرسول ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يفركن مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها غيره» [1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة. إنما هي كالضلع إن أردت أن تقيمها كسرتها، وإن تركتها تستمع بها وفيها أود» [2] .

وكما قال الشاعر :

والنقص في أصل الطبيعة كامن ... فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

لذا فالمطلوب المداراة مع النساء، وعدم التهميش لهن. فهناك من النسوة السعيدات رغم إملاقهن... أما إن دبت الغيرة في نفوسهن فلا سعادة ولا راحة .... فيجب إظهار مكانة المرأة واحترامها ومداراتها.

- كانت لعبد الله بن رواحة جارية ملك يمينه، فنظرت إليه زوجه في يوم من الأيام، وقد خلا بالجارية، فأخذتها الغيرة. قالت: كيف اخترت جاريتك على زوجتك الحرة؟!

فأنكر، فقالت له : إن كنت صادقاً، فأسمعني شيئاً من القرآن! لعلمها أنه جُنب لا يقرأ القرآن. وكانت هي أمية لا تقرأ كتاب الله. فقال:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم. ينظر صحيح الجامع الصغير ١٢٧٩/٢ ..

(٢) متفق على صحته. شرح السنة. ١٦٣/٩ . ومعنى الأود: العوج.

شهدت بأن وعد الله حـــق	وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ	وفوق العرش رب العالمينا
تـحمـله ملائـكة كـــرام	ملائكــة الإلـــه مقربينـــا

فحين سمعته صدقته وقالت: صدق الله وكذبت عيناي.

لإنها ظنت أن ما قاله قرآن كريم.

إن المرأة قد ترتكب الحماقات إذا أحست بجرح كرامتها، أو الاستهانة بها وذلك لترضي كبرياء نفسها:

- كان (م) بعد زواجه الثاني وكلما دخل بيت الزوجة الأولى، متكدر الوجه، مشتت الفكر ... وكأنه يأتي للبيت مكرها ورغم أنفه!

إن طلبت زوجته منه شيئاً تعلل بالأشغال ...

وإن أرادت محادثته تظاهر بالإجهاد والرغبة في الراحة ...

وعانت المرأة الكثير من البؤس والمرض بسبب احتداد مزاج زوجها، وسوء معاملته.

وزاد الرجل من تعنته، وزرع العداوة وأجج البغضاء في أسرته وهو يطرد أم أولاده قائلاً : لا أريد أن يأوي البيت أمثالها ! أما الأولاد فإن لهم الله !

هذه نماذج بسيطة .... وماذا أقول، فالقصص كثيرة، والاعتبار قليل، والمبالغة في الجدل المفضي إلى النزاع، مآله الشحناء.

هلا رضي كل من الزوجين بوعد الرسول ﷺ :

«أنا زعيم بيت في الجنة لمن ترك المراء» !

دور المرأة في كبح الغيرة

إن المرأة التقية المتوازنة درة نادرة الوجود، يستنير قلبها بهدى الرسول ﷺ وترسم لنفسها ولأسرتها أهدافاً واضحة تتجاوز هذه الحياة الفانية.

فلديها من التقى والتعقل ما يدفعها إلى محاسبة النفس ومعالجتها.

نعم نقول: معالجتها، لأن الغيورة في حالة لا تقل عن المرض. فإلى وصفات العلاج - بإذن الله - :

أولاً : التقوى والقناعة :

قال الله تعالى : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [1]

فمن كان زادها التقوى، فإنها تحب في الله وترضى بما قسمه الله، وتستعد للقاء الله.

وذلك يسير على من يسره الله عليها :

و «من رضي بما قسم الله له كان أغنى الناس»

ففي إشعار المرأة لنفسها بالرضى وأنه لن يأتي لها إلا المقدر لها ... فذلك مع الزمن كفيل بتغيير العاطفة السلبية نحو الآخرين، ودفن الغيرة وما فيها من مثالب.

وذلك شأن المسلمة التقية: فلن تتبرم من ظروفها المعيشية أياً كانت، ولن تقارن نفسها بمن هم أعلى منها، وذلك من تعاليم الدين كما جاء في الحديث الشريف: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم. فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» [2] .

وكم من وسوسة تركزت في النفس فكانت مفتاحاً للحسد.

وقد قال الشاعر:

ألا قل لمن كان لي حاسداً — أتدري على من أسأت الأدب

(١) سورة يونس ، الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة، صحيح الجامع الصغير ٣١٦/١ .

أسأت على الله سبحانــه لأنك لا ترضى لي ما وهــب

وقد قال تعالى : «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض»

(والنص عام في النهي عن تمني ما فضل الله به بعض المؤمنين على بعض من أي أنواع التفضيل - في الوظيفة والمكانة والاستعدادات والمواهب وفي المال والمتاع وفي كل ماتتفاوت فيه الأنصبة في هذه الحياة.

والتوجه بالطلب إلى الله وسؤاله من فضله مباشرة بدلاً من إضاعة النفس حسرات في التطلع إلى التفاوت، وبدلاً من المشاعر المصاحبة لهذا التطلع من حسد وحقد ومن حنق كذلك ونقمة. أو من شعور بالضياع والحرمان والتهاوي والتهافت أمام هذه الشعور حيث تكون القاصمة التي تذهب بطمأنينة النفس وتورث القلق والنكد وتستهلك الطاقة في وجدانات خبيثة وفي اتجاهات خبيثة) [١]

وأسوأ الغيرة ما كانت من المظاهر الكاذبة، حين تتشبع المرأة بما لم تعط فتغار منها الأخريات ... أو حين تتكلف الغيورة بما ليس لديها ... أما إنه لو لامس التقى قلبها وعلمت ما للعائل المستكبر من العذاب، لأقلعت عن مثل تلك التفاهات المهلكة: فقد ذكر الرسول الكريم ﷺ أن : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» [٢]

فاستصغار الدنيا وعدم التعلق بها وقصر الأمل، يجعل المرأة تدرك أن الخير كل الخير فيما اختاره الله لها، فقد تكون قلة المال نعمة، لأن من الناس من لا يصلحهم إلا الفقر، وأن الغنى قد يبطرهم!

وهلا قالت الغيورة من كثرة المال مثل قول الأعرابي :

فقد قيل لأعرابي: إن فلاناً أفاد مالاً عظيماً. فقال: فهل أفاد معه أياماً ينفقه فيها؟» [٣]

---

(١) في ظلال القرآن ٦٤٢/٢ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، صحيح الجامع الصغير ٥٨٨/١ .

(٣) عيون الأخبار ٣٥٦/١ .

(إن مراقبة الحق سبحانه وتعالى توجب إصلاح النفس واللطف بالخلق ... وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل) [1] كما ذكر ابن القيم رحمه الله.

(والذي يخاف مقام ربه لا يقدم على معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري، قاده خوف هذا المقام الجليل إلى الندم والاستغفار والتوبة فظل في دائرة الطاعة ...

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة.

وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى) [2]

* **ومن كان زادها التقوى فإنها لا تقرب المحرمات**، فالحرام سبيل من رقَّ دينها، وألهتها دنياها. ولا ريب أن من كثرت شهواتها فقد قسا قلبها وكثرت ذنوبها ... وليس أدل على ذلك من لجوء الغيورة إلى عمل التمائم والحجب ... وما شاكلها من الشركيات لتظفر بقلب من تحب، أو لتنال من لعاعة الدنيا ما تريد ... وفي غفلة القلب تنسى الواجبات وتستغرق في الملذات.

وقد صدق أحد الحكماء عندما سئل: ما العشق؟ فقال: جنون لا يؤجر صاحبه عليه، وسئل آخر عنه فقال: نفس فارغة لا همة لها) [3]

* **ومن عصمها التقوى لا تروج الشائعات** عندما ترى تفوق غيرها عليها، ولا تتبع العورات، ولا تبحث عن الهفوات، بل تكبح غيرتها معتصمة بالله تعالى تتأسى بأم المؤمنين زينب رضي الله عنها :

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل زينب عن أمري (في حديث الإفك) فقالت:

أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً. وهي التي كانت تساميني (أي تعاليني وتطلب من العلم والرفعة والحظوة عند النبي ما أطلب) من أزواج النبي ﷺ فعصمها

(١) تهذيب مدارج السالكين ٥٠١ .

(٢) في ظلال القرآن ٣٨١٨/٦ .

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة ٢٤٦/٧ .

الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها (أي تجادل وتتعصب) فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك) [١]

فالتقية إن وجدت أن جارتها (ضرتها) تتمتع بحظوة عند زوجها فلا تروج الشائعات ولا تحيك التهم، ولا تبحث عن مظانها، استجابة لحديث رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث. ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً) [٢]

فإذا كان ظن السوء لا يليق بالبعيد الغريب، فأحرى أن لا تجعل المرأة زوجها موضع ريبة في تصرفاته، تتابعه إن خرج من منزله متأنقاً، وتسخط عليه إن تغير موعد عودته إلى المنزل، وتتابعه خلسة وتصغي إلى كل همسة حوله.... فذلك ليس شأن التقيات الصالحات

- **إن تقوى الله تدفع المؤمنة لتحب لغيرها ما تحبه لنفسها**. وأن تتسامى على غيرتها، وتذكر مآثر أختها المؤمنة وما فيها من فضائل ومكارم. ولا تمانع من تدريب من هي دونها لتنمية مواهبها. فذلك خدمة جليلة لأمتنا، وواجبنا نحو أخواتها فقد يكون الخير والفضل في تلميذة اليوم. فكم من تلميذ فاق أستاذه !

وهذا كله يساعد في إطفاء نار الغيرة، وكبح جماحها.

* وإن خير ما يجبر قلب المرأة حتى وإن رأت نفسها مهضومة الحق في الأمور الدنيوية، لهو الإيمان الراسخ في قلبها يدفعها إلى التطلع إلى النعيم المقيم فتعمل ما يناسبه، وتعيش سعيدة النفس، منشرحة الصدر، بعيدة عن الغيرة الممعضة:

ليس السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

والمصيبة الحقة ليست في قلة المال أو نقص المتاع أو الملذات الدينوية. فالدنيا إلى زوال

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في المغازي وكذلك في الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في الأدب ومسلم في البر والصلة . شرح السنة ١٣/١٠٩ .

وإنما **المصيبة الحقة هي في نقص الدين** فقد جاء النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال:

«أتدرون من المفلس: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة. ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» [1] .

ومن كان **همها العقيدة فإن أمالها في انتصار عقيدتها**، ورفعة شأنها وعلو كلمة الله في الآفاق، فلا تشغل نفسها وتذهبها حسرات على التوافه، ولن يزاحم قلبها حب مخلوق... ولن ترضى بحال أن تكون من الغوغاء والرعاع ... بل تمتن علاقتها بالله تعالى فذلك ما يليق بالتقيات أمثالها وتجدد إيمانها: كما بين رسولنا الكريم ﷺ بقوله :

«إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم» [2] .

ثانياً : حكمة المرأة وعقلها :

المرأة العاقلة تساعد على تجاوز الأزمة والخروج من مغبات الغيرة، والانتصار على ذلك المرض العضال الذي يوهن الأسر ويفكك المجتمعات. وما قيمة العقل إذا لم يعقل صاحبته عن الهوى وينهاها عن الرذائل، ويمنعها من خواطر السوء، ويدفعها إلى الفضائل؟!

(وقال وكيع بن الجراح: العاقل من عقل عن الله عز وجل أمره، وليس من عقل تدبير دنياه.

وقال سفيان بن عيينة: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر. ولكن العاقل : الذي

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال الألباني : حديث صحيح. ينظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٧٩ .

(٢) رواه الطبراني والحاكم وابن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني. ينظر صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٣٠ .

يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه) [1] .

* **والعاقلة الحكيمة لا تهمل زوجها**، بل تؤدي حقه، ولا تتسخط على القضاء، ولا تمن بواجبها الذي عملته! فتنغص عيشها بكلمات. ترددها البعض: واهاً لمنكرالجميل ... وآه من جاحد الفضل!

وإلا فلا تلومن إلا نفسها إن زهد بها، وفاتها الوفاق معه. حينما تحطم الغيرة حياتها، وهي نفسها التي تشعل لظاها وتصطلي بنارها.

* **والعاقلة الحكيمة تبعد جهدها عن النقاش الساخن** الذي يزيد الطين بلة كما يقال. ولا تتخذ قراراً مع الانفعال لئلا تندم عليه. ولا ريب أن معالجة الأمور وقت العافية أفضل منها وقت المحن والأزمات ....

أما من تكون دائمة الغضب كثيرة العتب فإنها لن تجد ممن تعاشرهم إلا الصد والنفور ... والتفكير المتزن يحل الكثير من الأمور ...

* **والعاقلة الحكيمة تقف في حدود غيرتها البشرية** عند حدودها التي حدها الله تعالى، فتكبح جماح غيرتها ... وبالإرادة الواعية تحسم العاقلة الأمور، ولا تعطيها أكثر مما تستحق، وتسمع زوجها من لطيف كلامها، وتعامله ببشاشة دعا إليها ديننا :

و«تبسك في وجه أخيك صدقة»

وبكل تؤدة وترفق تزيل التوتر وتضيق مساحة الخلاف.

هذا والخلق الحسن قد يكون بالطبع والفطرة، وقد يكون بالتخلق واعتياد الفضائل والمكارم.

فبالصبر والتصبر تعود المرأة نفسها الفضائل، وتتسامى عن ضيق الأفق، وتؤدي الحقوق الواجبة عليها. فالحلم سمة العقلاء، وزينة العاقلات. والحلم سيد الأخلاق، والتلطف والمداراة يحل كثيراً من الأمور المشكلة. فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه،

---

(١) صلاح الأمة في علو الهمة ٣١٧/٧ .

كما جاء في الحديث الشريف. والفطنة اللبيبة لا تلق بالاً للسخافات.

وهكذا ....

فالعاقلة التقية : تتمسك بالمرتقى العالي بعيداً عن التفاهة والسطحية . وذلك حين تجعل الشرع رائدها، تحيا بالإسلام وللإسلام ....

لا تسخط على القدر، بل تنظر في حق الله عليها لتؤديه، وما قصرت فيه فتسارع إلى عمله، فذلك شأن التقيات الأوابات :

قال الله تعالى : «إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون» [١] .

ثالثاً : طلب الرأي ومشاورة الغير :

وليس ذلك معيباً للمرأة أو قدحاً في وعيها وحكمتها. وماندم من استشار، ومن استشار قلت أخطاؤه.

فمشاورة ذوات الحكمة والخبرة والتقى والصلاح تساعد في إلجام الغيرة بلجام الشرع: «والدين النصيحة» كما جاء في الحديث الشريف. وبالتناصح تصل أسرنا إلى الرأي السديد والنظر الحصيف.

وهذا لا يعني فضح الأسرة ونشر أسرارها تحت مسمى التناصح ... بل إن المرأة العاقلة تعمل جهدها على ستر العيوب، ولا تستشير إلا الناصحة الأمينة .... ولا تكلمها إلا بمقدار ما تقتضيه الضرورة، وبالتالي فإن «المستشار مؤتمن» [٢]

فلا تنشر المستشارة الأسرار ولا تذيعها.

أما أن تصب المرأة جام غضبها على من تنصحها، بل وتتهمها أحياناً بالغيرة منها ... وقد تسف في وصفها مما يصل في بعض الحالات إلى حد المهاترات، بعد أن كان المأمول إيصال الأسر إلى بر الأمان، وإنقاذها من الهاوية ...

---

(١) سورة الأعراف . الآية ٢٠١ .

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وصححه الألباني. صحيح الجامع الصغير ١١٣٦/٢ .

فتلك التصرفات خرقاء لن تقدم عليها عاقلة.

وقد قال الشاعر :

إن اللبيب إذا تفرق أمـــره	فتق الأمـور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه	فتراه يعتسف الأمور مخاطراً

وبالتالي يجب البعد عن مشاورة صديقة السوء التي توسوس بأقوالها المعسولة ورأيها الأخرق لتوقع صاحبتها في مزالق الشر وتزين لها أهواءها .

فشتان بينها وبين الصديقة الناصحة التي تأخذ بيد صاحبتها لكل خير، وتحذرها من مغبة الغيرة ومن عواقبها الوخيمة.

رابعاً : الإنصاف :

وذلك أن تتهم المرأة نفسها قبل اتهام غيرها. وهذا ابرز دليل على البعد عن الهوى المسيطر والذي يوقع في المزالق والمهالك.

* لقد تقدم رسول الله ﷺ لخطبة أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يارسول الله ، إن فيَّ خلالاً ثلاثاً. فأنا امرأة شديدة الغيرة فأخاف أن ترى مني شيئاً يغضبك فيعذبني الله. وأنا امرأة قد دخلت في السن. وأنا امرأة ذات عيال)

فالإنصاف يجعل المرأة تذكر مالها وما عليها. يجعلها تجلس مع نفسها جلسة مصارحة تبحث فيها عن سبب غيرتها.

- فإن كان سببها امتياز صاحبتها بالعلم ... فإن فاتها العلم في المدرسة فلن تفوت على نفسها فرصة حفظ القرآن الكريم، سواء في حلقات التحفيظ، أو من المذياع، أو الأشرطة .... فذلك مما يذهب عنها الهم والحزن، ويشرح صدرها، ويوصد مداخل الشيطان، ويدفع الهواجس والوساوس والأوهام، ويملأ قلبها طمأنينة ورضىً. فضلاً عن ثواب العلم.

- أما إذا كان سبب غيرتها أن ضرتها محظية عند زوجها ومحببة إليه في حين لا تلقى

هي إلا الصد والنفور ...

فلتبحث عن السبب ولتتهم نفسها قبل غيرها.

لعل سوء تبعلها هو السبب، ولعل صاحبتها بارعة في التعامل!

فلتصلح من شأنها، ترتيباً ونظافة وطاعة وحسن تدبير لبيتها وأداء للحقوق الواجبة عليها - وبنفس راضية - للأهل والأقارب والأولاد ... فذلك كله مما يعين على تدارك الأمر قبل استفحاله وقبل أن يتسع الخرق على الراقع ... وإلا فلتصبر وتحتسب بدل أن تذهب نفسها حسرات، وتتعلل بأعذار الغيرة الواهية، كما قال الشاعر :

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه ... فالناس أعداء لهم وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً ومقتاً إنه لذيم

فالإنصاف الإنصاف ... وبعداً للغيرة المقيتة.

ولو ذكرت كل غيورة تريد الاستئثار بكل شيء، أن الظلم ظلمات يوم القيامة، لما أعانت على ظلم أحد.

ولو تذكرت الدعوات التي تلاحق من أخذت ما لغيرها بغير حق لآثرت الكفاف.

خامساً : البعد عن الفراغ والاستغراق في العمل النافع:

ففي ذلك إذكاء الهمم، وتقويم للأخلاق، فلا تغلب المرأة التوافه.

ولعل في جعبة كل منا قصة امرأة كانت تعاني من مرارة الغيرة. ولطالما أدت بها إلى كره الناس جميعاً حتى أولادها المقربين أضحت لا تلقي لهم بالاً، وتمكث في غرفتها منزوية تقلب الفكر، وتتمنى الموت رغم حرمة ذلك [(١)] .

وأخيراً .... عندما استغرقت في العمل، واندمجت به، قهرت غيرتها. وأيقنت أن التفاهة والصغار سبب كل شقاء.

(١) فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله : «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد فاعلاً فليقل. اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» متفق عليه .

فتغير مجرى حياتها فيما بعد ... ولسان حالها يقول: أشقيت نفسي ومن حولي بنظراتي الحمقاء!

فكم من النساء من هن أسوأ حالاً، لكنهن أهدأ بالاً!

فلن أضيق علي نفسي في الاسترسال بالأفكار السوداوية بعد اليوم.

وهكذا فإن العمل النافع وإسداء المعروف يزيد المودة بين الناس ويمنع التفكير في التفاهات. ثم أن عمل الخير مما يساعد على إصلاح الباطن.

وقد قال الله تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة .. ﴾ [1]

فالنفس إن لم تشتغل بالطاعة شغلت بغيرها.

ولتجرب المرأة تلاوة القرآن الكريم، وقراءته القراءة المتمعنة لا لمجرد التلاوة، بل ليصبح القرآن دافعاً فاعلاً يدفعها للعمل به وتحكيم شرع الله. وقد قال الله تعالى :

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ... ﴾ [2]

فهو بلسم للنفوس العليلة وشفاء للصدور الغليلة

فيا أيتها المرأة الغيورة:

إن الحياة أقصر من أن نقصرها بالهموم والمشكلات تافهها وسخيفها ...

و« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» [2]

ونصيحة حميمة للأخوات المؤمنات : أن لا نستهين بتصرفات قد تبدو بسيطة، ولكنها تضعضع كيان الأسرة إن لم نحسن التعامل معها ومعالجتها في حينها.

وبالإيمان العميق تفيء النفوس إلى طاعة الله ورسوله ...

وبالتعقل مع الإيمان تسعد المرأة ولو مع الدعة وعيش الكفاف ...

* * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٥ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .

(٣) أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد، وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير ٢/٩٣٧ .

الارتقاء بتطلعات الأسرة : لتتجاوز هذه الحياة الدنيا :

وقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ .. ﴾ (١)

ولو علم الرجال أن المتعة ليست كل شيء، ولو آمنت النسوة أن الدينا وزينتها ليست غاية المطالب ....

ولو تطلع رجالنا إلى ما تطلع إليه أسلافنا من المؤمنين .... لكانت لهم مواقف مشرفة حتى في حياتهم الزوجية.

فلقد هجر جليبيب فراش عرسه ليجاهد في سبيل الله. وكذلك غسيل الملائكة رضي الله عنهم أجمعين.

إن التقى والورع إذا اقترن بالحكمة والتعقل، ليفعل الكثير في النفوس، فتصغر المطالب الدنيوية، وتتضاءل سطوتها.

لأن من يطلب الآخرة ليستهين بالدنيا وما فيها، ويصونه ورعه عن أن يوغل في السفاسف:

- تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا!

فقالت: إنما تزوجت رياحاً القيسي، ولم أرني تزوجت جباراً عتياً !

فلما كان الليل، نام ليختبرها. فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يارياح. فقال : أقوم.

فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يارياح. فقال : أقوم. فلم يقم.

فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يارياح. فقال : أقوم.

فقالت : مضى الليل، وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعري من غرني بك يارياح؟

قال: وقامت الربع الباقي» (٢)

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٨.

(٢) صفوة الصفوة ٤/٢٧.

ولقد مرت قصة العابدتين من بغداد والتي ذكرها ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ وتبين أثر التقى في النفوس لكبح جماح الغيرة. (*)

ولله در الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ إذا كان يقول:

«أصلح ما أكون أفقر ما أكون، وإني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي وحماري»(١)

فليحسن المرء صلته مع الله، يحسن الله حاله مع الآخرين.

وليترفع تقرباً إلى الله تعالى ورغبة فيما عنده وحده:

«إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفسافها» (٢) .



(*) ينظر صفحة (٤٩) .

(١) صفوة الصفوة ٢/١٤٩ .

(٢) أخرجه الحاكم وغيره وصححه الألباني. ينظر صحيح الجامع الصغير ١/٣٨٤ .

«٧»

الوقاية خير من العلاج

إن الوقاية أجدى بكثير من محاولات العلاج اليائسة.

وعليه، فيحسن صد باب الغيرة لتحاشي وقوعها، والتخفيف من غلوائها وآثارها.

ولعل لأولياء الأمور الدور الناجع في ذلك، مع البعد عن أسباب التهييج والإثارة، وإصلاح وسائل الإعلام وشعور القائمين عليه بالمسؤولية.

- واجب الأولياء :

يتجلى في حسن التربية والإعداد الصالح لأبنائهم وبناتهم على السواء. مما يهيؤهم لتحمل مسؤولياتهم مستقبلاً. وجعل اهتماماتهم تتجاوز هذه الحياة، وقلوبهم تتعلق بالآخرة لا بظل الدنيا الزائف....

* **ففي طفولة الصغار**، وقبل استقبال الأسرة للمولود الجديد، يهيأ صغير الأسرة لاستقباله، وذلك بالحديث عن الأخوة والمحبة، وأن هذا الذي ينتظر هو أخوه الذي يحبه، وعندما يكبر سيلعب معه، ويذهبا للفسح وللمدرسة معاً ... فإذا به يفرح ويستبشر لقدوم أخيه الصغير، بدل الغيرة منه.

ومن ثم يساهم في مساعدته وتنظيم أدواته ... وتبقى الأم على استحسان طفلها القديم، والثناء على تصرفاته الصالحة، مما يشعره أنه لم يفقد مكانته، الأمر الذي لا يحفز الغيرة ويستثيرها عنده.

أما إذا شغلت الأم بوليدها الجديد، فواجب الأب أو المقربين أن يقوموا بدورهم في رعاية طفلهم الكبير.

وهكذا .... كي تمر الفترة بسلام، وإلا عبر الطفل عن غيرته، بتقليد حركات الصغار من بكاء أو حبو أو حتى العودة إلى البول في الفراش. وما ذاك كله إلا تعبيراً عن الإخفاق

في جلب الانتباه له.

* **وإذا كبر الصغار يجب ألا يقارن الأبناء ببعضهم** . فلا يقال: أخوك أحسن منك. وإنما يشجع الجميع لكل خير، أما إذا درجوا على ذلك فإنهم يعتادون المقارنة والغيرة.

والعكس، بدلاً من تنمية الغيرة في نفسه، فواجبنا أن نساعد من يغار كي يتخلص من غيرته، ليستطيع مستقبلاً مواجهة الحياة بنفس سوية .... وذلك بالعدل بين الأبناء فهذا مما يوصد باب الغيرة.

وقد كان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يسوون بين أبنائهم حتى في القبل.

فلنشعر أبناءنا بالحب والدفء العاطفي ولنعدل معهم حتى في العطية: فذلك مما يبعدهم عن مثالب الغيرة مستقبلاً، لاسيما وأن الأطفال يختزنون ذكريات الطفولة. وكم يجر على **الأسرة تميز أبناء الزوجة المحظية على أولاد غيرها من الزوجات**، حين يتغاضون عن أخطائهم، أو يغرقونهم في الهدايا! ويوقعون العقوبات العشوائية على غيرهم.

وأقل ما في ذلك أن يكره الأبناء والدهم! ومن ثم يتعودون التنافس الخاطيء، وذلك مفتاح الغيرة.

* وإذا بدأت البنت الصغيرة بمحاولة تقليد أمها، كأن تلبس من ملابسها، أو تقلدها في استعمال أدوات الزينة ... فيحسن إشعار البنت أن تلك الملابس للكبيرات وتلبس أمثالها عندما تكبر إن شاء الله. وذلك بأسلوب ودود لا بالشدة التي قد ترسخ عندها مشاعر الغيرة.

* وفي المدرسة تحرص ـ البنات على الخصوص ـ للتنافس مع زميلاتهن. وهنا قد يخطيء الأهل بإثارة غلواء الغيرة وذلك بتحفيز البنت كي تدرس حتى لا تتفوق عليها زميلاتها، وهن لسن مثلها !!

وتصبح الغيرة مترسّخة فيها منذ صغرها، ولن ترغب إلا في تنمية إنجازاتها هي لئلا تتفوق عليها الأخريات!

* أننا إذ نريد تربية مؤمن له كيانه، أو مساعدته، فواجبنا أن نكون **قدوة صالحة له.**

يتجلى فيها حرص الوالدين على الإنصاف والعدل، إعطاء كل ذي حق حقه بعيداً عن الألفاظ الجارحة وعن التقريع:

- فالبنت التي ترى جدتها تجلس في المقعد الأمامي في السيارة قرب أبيها، وتعامل بكل مودة واحترام ... لن تغار من المعاملة الطيبة لحماتها مستقبلاً.

- وتلك التي يجدها والدها تبكي البكاء الحارق حين ترى الأطفال يلبسون الملابس الجميلة، وهي بلباسها المتوسط منزوية لا تشارك الأطفال ألعابهم، وقد لا تتورع عن عمل المقالب لهم إن استطاعت .. فيقول لها بكل حكمة : **إن لك في الآخرة أجمل** من **هذه الملابس** لأنك تداومين على صلواتك و .... و.... وهكذا يطفىء عندها نار الغيرة.

- ومن يقال لها وقد غارت من درجات زميلتها الناجحة الممتازة، يقال لها وقد اجتهدت وبذلت ما في وسعها !

- يابنتي، **المهم أنك اجتهدت، وإن نجاح الآخرة أهم!**

وهكذا تهذب الغيرة لتسمو النفوس إلى الخير ومكارم الأخلاق.

* **علينا أن نعامل أبناءنا بكياسة وفطنة**، فيتعلمون من ذلك أن الحمق مدعاة للتقليد. فيترفعون عن التقليد وما يتبع ذلك من الغيرة.

وليعتبر الأولياء بقول أبي الأسود الدؤلي لابنته : «إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق» لاكمن يشجع ابنته على المضي في الغيرة والتغاير بقول: راقبي ... لاحظي ... ويقارن بينها وبين غيرها.

* والأهم من ذلك كله : أن نعلم ابناءنا أن **الحياة ليست أحلاماً وردية**، وإلا شعروا بالإحباط إن لم يحصلوا على ما يريدون، وتطلعوا إلى ما عند غيرهم بحسرة وبأسى.

فالتربية على حب الدنيا - والتي للأسف - يغرسها كثير من الآباء والمربين في نفوس

الناشئة، وذلك من خلال قولهم:

«أعمل لتصبح نجم المجتمع اللامع - أو الطبيب الحاذق - ... أو التاجر الماهر المشار له بالبنان ...»

هذا وأمثاله يساهم إلى حد كبير في زرع الغيرة في النفوس.

أما مع تعليم أولادنا روح المنافسة المشروعة والتعاون مع الآخرين وأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ... ولا ننسى تعويدهم ألا يتمنوا ما فضل الله بعضنا على بعض في الرزق، لأن الغنى ليس عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس.

وبذلك فإننا كأولياء نساهم في إيصاد باب الغيرة. بمنع أسبابها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وبالقدوة الصالحة لأبنائنا.

- البعد عن كل أسباب التهييج والإثارة:

مما قد يساهم في مسببات الغيرة. من اختلاط ونظر محرم.... فإذا كانت المرأة قد سقط عنها وجوب الجمعة رغم التأكيد عليها للرجال، وذلك خشية الفتنة، وحتى لا تزاحم الرجال ... فمن باب أولى تجنب الاختلاط المريب. وإن كان من سبب يبيح الاختلاط كضرورة، فهي تقدر بقدرها. مع الستر وعدم التبرج بزينة أو خضوع في القول ....

ورب امرأة أذهب صوابها كثرة دخول جارتها لبيتها ... وتعمدها لذلك أثناء وجود الزوج، وملاينة الحديث له... مما يزيد الأوهام والشكوك لدى الزوجة، فيشعلها لديها غيرة عمياء تشرد الأطفال وتشتت الأسرة.

وصدق رسولنا الكريم ﷺ إذ قال : «ماتركت بعدي على أمتي فتنة أضر على الرجال من النساء» [١]

وبالمقابل، لا تصف امرأة لزوجها، فذلك حرام نهى عنه الدين :

عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها

---

(١) متفق عليه كما ذكر الإمام البغوي. شرح السنة ٩ ص ١٢ .

لزوجها كأنما نظر إليها »[1]

وكل ما نملكه أن نناشد المرأة والرجل على السواء بالعودة إلى الدين، وعدم الاختلاط أياً كان سببه، كأن تكون المرأة ممرضة أو سكرتيرة للرجل ... فذاك كله نتاج بيئة غير ملتزمة بالشرع ... يكتوي بنيرانها كل من فيها أجمعين.

ـ البعد عن مجالس السوء الدافعة للغيرة :

ولا شك أن صحبة الدعيات اللواتي يتفاخرن بما عندهن، وحتى بما ليس عندهن ... تقول إحداهن: لدي كذا من الذهب ... وكذا من الحلي ... ومن الملابس ومن الأثاث ... ومكانتي كبيرة في قلب زوجي، لقد أعطاني وأهداني كيت وكيت ... كل تلك التوافه قد تثير الغيرة في نفس المرأة وتوري لظاها وتزيد اشتعالها ...

أما العاقلة فتبعد عن تلك المجالس، إذا علمت أنها لن تقدر على الإصلاح. وقد قال الشاعر :

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي

فيا أيتها الأخت المسلمة الغيورة:

حذار حذار من مجالسة التافهات ...

وما أحسن أن تستبدلي رفيقة هي كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أن أن تجدي منها ريحاً خبيثة ... ما أحسن أن تستبدليها بصديقة صدوقة ممن وصفهم الله تعالى بقوله «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

*** إصلاح الإعلام:**

إن وسائل الإعلام إن صلحت فإنها عن طريق الإيحاء تعدل كثيراً من الغرائز. وتساعد الأجيال على الفضيلة، وتربي فيهم الحصانة الفكرية المناسبة، والتمسك بالقيم السامية.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في النكاح، باب لاتباشر المرأة المرأة فتنتها لزوجها كأنما ينظر إليها.

فإذا رُمنا صلاح شؤوننا الأسرية، فلنعمل على إشاعة الفضائل في المجتمع. وذلك ببث الثقافة الجادة التي ترسخ القيم السامية، وتوعي الأمة بكل خير، وتنقيتها مما يثير الغيرة العمياء، ويذكي أوارها الأرعن.

ولكن ـ للأسف ـ قد قبل الإعلام في كثير من حالاته بالهدف الرخيص فكان منه التضليل والتهييج ضد تعدد الزوجات. والدعايات الخاطئة التي تخدع الجهلة وذلك عن طريق الروايات المقروءة والمسموعة والمرئية، ورسموا من خلالها أن الغيرة ما هي إلا دليل الحب. ومن ثم تتفنن هذه الوسائل في طرق العرض لجذب القراء والمستمعين إليها!

ولكن الصحيح أن الأمر ليس على إطلاقه، فالمحب يكون عوناً لمن يحبه لا عوناً عليه!

فأين الإنصاف والاعتدال؟ أين هذا مما تنشره وسائل الإعلام بتشجيع التهور أو تبلد المشاعر ولا ثالث لهما؟!

أين ضبط الانفعالات وعدم الانسياق وراءها؟

وبالمقابل فإنهم يحاولون نشر القاذورات وإماتة الغيرة الواجبة وفي ذلك شرٌ وأي شر:

ففي مقابلة مع فنان [1] : مدح الفنان زوجته وقال: إنها تقدر عمله، ولا تنزعج ابداً من معاكسة الفتيات له واتصالهن به، وقال:

ـ إنها إنسانة واعية متفهمة!

لقد انقلبت الموازين في نفوسهم، ويريدون أن تشمل العدوى المستمعين والمشاهدين لبرامجهم.

فالواجب الحذر من هذه المستجدات التي غزت بيوتنا، واقتحمت حصوننا من داخلها. والعمل على إصلاحها وتوجيهها الوجهة الشرعية السليمة. لنضمن ـ بإذن الله ـ أجيالاً تضع الغيرة في موضعها الشرعي. ولا تتجاوزه لأنها تنضبط بضوابط الشرع الحنيف.

---

(١) وهي نموذج لكثير من المقابلات الصحفية والإذاعية.

* **الإكثار من الدعاء** :

بأن تضرع المرأة إلى الله تعالى أن يصلح قلبها ويحقق لها الراحة. وأن يمنحها من قوة اليقين ما يهون عليها مصائب الدنيا ومشاكلها و«أعجز الناس من عجز عن الدعاء» [1] كما جاء في الحديث الشريف. تبتهل إلى الله تعالى أن يحيى قلبها بالإيمان. وأن يوفقها لما يشرح صدرها ويبعد عنها الغيرة ووساوسها ...

ولعل من المناسب أن أتعرض إلى **أسباب شرح الصدور كما بينها ابن القيم رحمه الله** :

إن أعظم الأسباب : **التوحيد**. فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء.

ومنها **العلم** . فإنه يشرح الصدر ويوسعه، وكلما اتسع العلم النافع للعبد انشرح صدره واتسع.

ومنها **الإنابة إلى الله** ومحبته والإقبال عليه، والتنعم بعبادته. فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك.

ومنها **دوام ذكر الله** . ومنها **الإحسان إلى الخلق** ونفعهم بما يمكن من المال والجاه والنفع بالبدن وأنوا ع الإحسان. فإن المحسن أشرح الناس صدراً وأنعمهم قلباً.

ومنا **ترك فضول النظر والكلام** والاستماع والمخالطة والأكل والنوم. فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره وتحبسه وتضيقه) [2] .

إنها طرق بسيطة وميسرة على من يسرها الله عليها. وبالإمكان عملها ببساطة.

وأرجو أن لانسمع مقالة البعض: أنا عملت خيراً طيلة حياتي وأين السعادة، وأين شرح الصدور؟!

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه والحديث صححه الألباني. ينظر في صحيح الجامع الصغير ١/٢٣٨ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن القيم الجوزي، جـ ١ ص ٢٠٤-٢٠٣-١٥٤ ـ نشر دار الفكر ، ط ٣ ١٩٧٣م .

لا ، إن كان ذلك حباً في الخير ولإرضاء الله فإنه لا ريب يؤدي نتائجه والله لايضيع أجر من أحسن عملاً.



الخاتمة

لقد آن الأوان أن تنضج عقول نسوتنا، وأن يتجاوزن سفاسف الأمور، وصفات الأنانية والتركيز على الذات، فهي من صفات المراهقة، بل من صفات الطفولة، حيث تبكي الطفلة لمجرد لمس غيرها لأي أداة من أدواتها!

فللمسلمة رسالة سامية تهون معها حظوظ النفس، ومطامعها الشخصية للتوصل إلى مرضاة الله تعالى فتتحقق السعادة في الدارين بإذن الله.

ولا يعني ذم الغيرة أنها منتفية منعدمة عند الصالحات، لكنها غيرة منضبطة بالشرع، بعيدة عن المثالب، وإثارة المشكلات ونكد الحياة.

والمرأة الموفقة هي من أعانها الله تعالى لتخطي الغيرة ومشاكلها مماجبلت عليه من الغرائز، والمرأة التقية العاقلة تسعى لتقويم نفسها وتخليصها مما يشينها:

فبالتقوى: تبعد عن المحرمات كالاختلاط بأي صورة كان، حتى ولو كان عن طريق وسائل الإعلام وما يتبعها من تهييج وتهويش، بعدها عن الحسد والغيبة ... وكل ما يتبع الغيرة المقيتة من رزايا وذنوب. وبذلك يطمئن قلبها وتملأ بيتها سعادة وهناء.

وبالتقوى تترفع عن التوافه، وتشغل نفسها بالخير والطاعات. وتتعود على الفضائل وتبعد عن السفاسف. وتشعر بأخوة الإسلام التي تمنعها من تتبع العورات ...

فتنصف التقية غيرها حتى من نفسها استجابة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (١)

وبالتقوى، ترضى المرأة بقدرها وتقنع بما قمسه الله لها، ولا تتشوف نفسها إلى ماعند غيرها.

وتعقل المرأة وحكمتها مما ينفي آثار الغيرة، وما يتبعها من إشعال الضغائن وإثارتها.

كما أن مشاورة ذوات التقى والصلاح توصل الجميع إلى بر الأمان.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.

ويحمل الأولياء في تربيتها مسؤولية تهيئتها لتحمل الحياة مستقبلاً بعيداً عن الغيرة وغيرها من العقد. وذلك بالعدل بين الأولاد. وبالقدوة الصالحة من الآباء. والتنشئة على التطلعات السامية التي تنفي الغيرة عن الأجيال.

وحكمة الزوج توصد أبواب الغيرة بدل أن تلهبها. وذلك حين يعدل الزوج ولا يتعسف في استعمال حق القوامة الذي أعطاه الله أياه. مما يوقف كلاً عند حده لا يتجاوزه.

هذا مع تخيره الوقت المناسب لزرع الثقة في نفس المرأة وذلك بأسلوب راق شفاف ...

عندها يتسابق أفراد المجتمع رجالاً ونساء لطاعة الله تعالى ولعلم الخير استجابة لأمره عز وجل : ﴿ ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ .. ﴾ [1]

ألا ليت المرأة تغار لدينها أن يستباح ولحياء المؤمنة أن يخدش ...

ألا ليت المرأة تغار لأعمال الآخرة كما تغار لمكاسب الدنيا ...

* ولعلي قدمت لأخواتي ما ينفعهن في هذه الرسالة.

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون صواباً بعيداً عن الخطأ والزلل.

والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

فهرس الموضوعات

صدر للمؤلفة الكتب التالية:

١ـ الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة، نشر مكتبة السوادي، جدة.

٢ـ سلسلة الأسرة المسلمة، نشر دار الرسالة، صدر منها:

أ ـ التربية في ظلال الإسلام.

ب ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ .

ج ـ ألعاب الطفل المسلم.

٣ـ سلسلة الأسرة المثالية، نشر دار المحمدي بجدة، ومنها :

أ ـ الزوجة المثالية.

ب ـ البنت المثالية.

ج ـ السلوك المثالي للطفل المسلم.

٤ـ إليك أختي المربية، نشر دار طيبة، الرياض، ودار المحمدي بجدة.

٥ـ القرآن الكريم معلمي (تعليم الطفل وتهذيبه وتسليته)، نشر دارالطرفين، الطائف.

٦ـ آداب الصحبة بين النساء، نشر دار المحمدي، جدة.

٧ـ حكايات أطفالنا في رحاب الإسلام: ثلاث مجموعات قصصية، نشر دار طيبة ودار الرسالة :

أ ـ غرفة الحارس وقصص أخرى.

ب ـ فائز أم محظوظ وقصص أخرى.

ج ـ البطر يذهب النعم وقصص أخرى.

٨ ـ حكايات فتيان المستقبل، نشر دار المعالي، عمان:

أ ـ الحلم الجميل.

ب ـ دموع التماسيح.

٩ ـ حكايات الأيام، نشر دار المعالي، عمان:

أ ـ بستان أبي مداهن.

ب ـ المحسنة الصادقة.

١٠ـ رجالنا العظماء، نشر دار المعالي، عمان:

أ ـ الخليفة العادل، المعتضد بالله.

ب ـ فتى بخارى.

ج ـ محمود يحطم الصنم.

د ـ العالم النبيل «دعلج السبستاني» .

١١ـ القلب العامر وقصص أخرى، نشر دار طيبة ودار الرسالة بمكة المكرمة.

١٢ـ المخادع وقصص أخرى، نشر مكتبة الكوثر، الرياض.

١٣ـ معاناة معلمة (قصة تربوية هادفة)، نشر دار المحمدي، جدة.

١٤ـ تربية الأطفال في رحاب الإسلام، بالاشتراك مع الاستاذ محمد الناصر، نشر دار السوادي، جدة.

١٥ ـ تربية المراهق في رحاب الإسلام، بالاشتراك مع الاستاذ محمد الناصر، نشر رمادي للنشر.

١٦ـ تربية الموهوب في رحاب الإسلام، بالاشتراك مع الاستاذ محمد الناصر، نشر دار المعالي، عمان.

١٧ـ المرأة بين الجاهلية والإسلام بالإشتراك مع الاستاذ محمد الناصر، دار الرسالة، مكة المكرمة.

١٨ـ الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام، بالإشتراك مع الاستاذ محمد الناصر، عالم الكتب، الرياض.

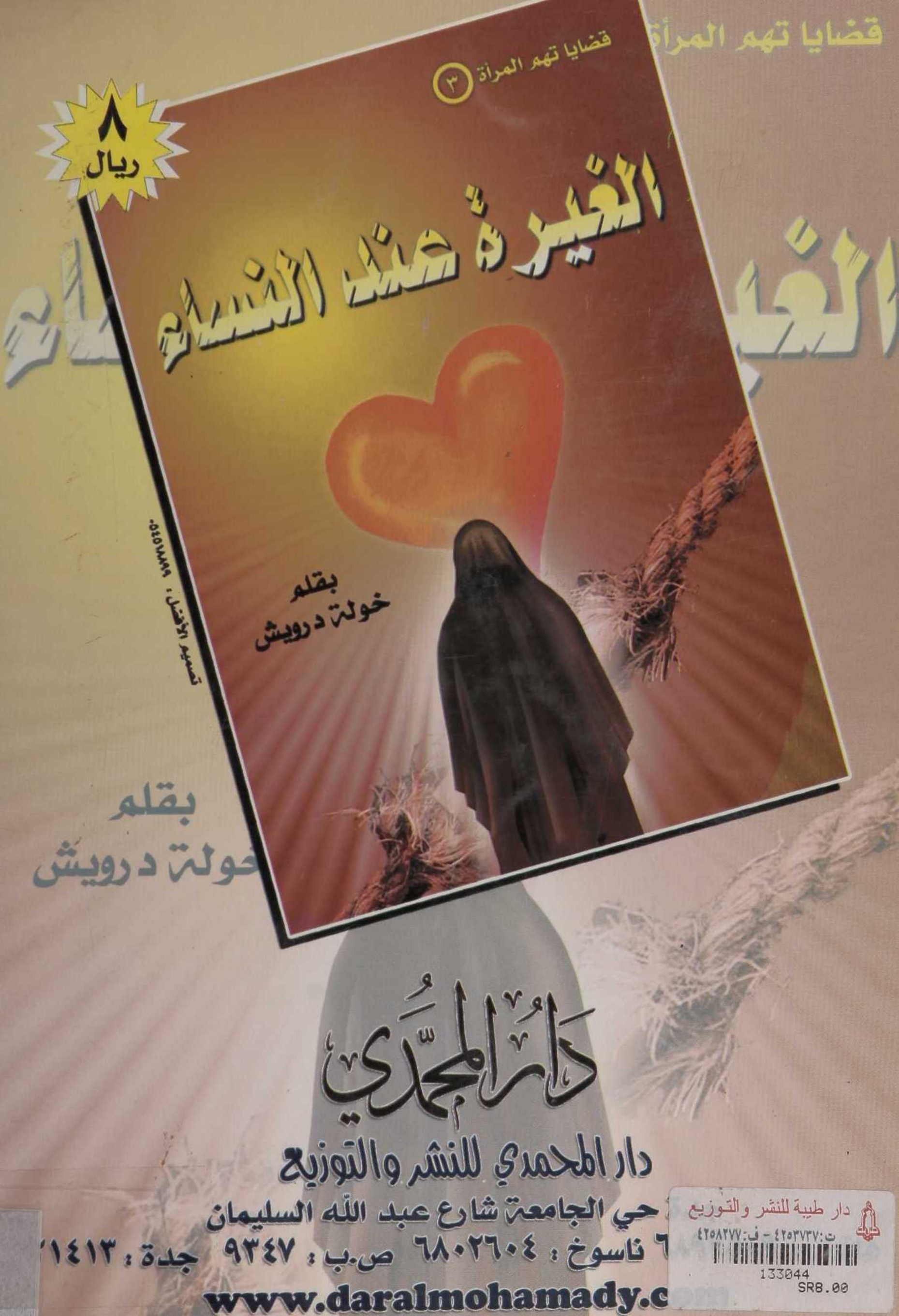
١٩ـ كيف نغرس في الناشئة حب القرأة، نشر دار المحمدي، جدة.

٢٠ـ قضايا تهم المرأة، نشر دار المحمدي، جدة، منها:

أ ـ ضوابط الإنفاق في البيت المسلم.

ب ـ مجالات المرأة الدعوية




قضايا تهم المرأة
قضايا تهم المرأة ٣
٨
ريال
الغيرة عند النساء
بقلم
خولة درويش
بقلم
خولة درويش
دار المحمدي
دار المحمدي للنشر والتوزيع
حي الجامعة شارع عبد الله السليمان
ناسوخ: ٦٨٠٢٦٠٤ ص.ب: ٩٣٤٧ جدة: ٢١٤١٣
www.daralmohamady.c
دار طيبة للنشر والتوزيع
ت:٤٢٥٣٧٣٧ - ف:٤٢٥٨٢٧٧
133044
SR8.00